الدكتور أحمد عبد الرحمن

الصورة العلوية للبعثة المحمدية

الرد على

افتراءات القمي

مكتبة وهبة
١٤ شارع الجمهورية، عابدين، القاهرة
ت ٢٣٩١٧٤٧٠ فاكس ٢٣٩٠٣٧٤٦

الصورة الغلوية للبعثة المحمدية
الرد على افتراءات القمني
الدكتور أحمد عبد الرحمن
الطبعة الأولى ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م
مكتبة وهبة ١٤ شارع الجمهورية - عابدين - القاهرة
١٠٤ صفحة ١٧ × ٢٤ سم
رقم الإيداع: ١٥١٥٠ / ٢٠١٠
الترقيم الدولي: I.S.B.N.
977-17-9282-2



دار الكتب المصرية
فهرسة أثناء النشر إعداد إدارة الشئون الفنية

عبد الرحمن، أحمد
الصورة الغلوية للبعثة المحمدية: الرد على افتراءات القمني / أحمد عبد الرحمن.
- القاهرة: مكتبة وهبة، ٢٠١٠
١٠٤ صفحة؛ ٢٤ سم
تدمك ٢ ٩٢٨٢ ١٧ ٩٧٧ ٩٧٨
١- السيرة النبوية - دفع مطاعن
أ- العنوان

ديوي ٢١٦,٣٩

الإهــداء

إلى كل مسلم غَيور آذَتْه افتراءات القمني في روحه وضميره

أقدم هذا العمل المتواضع

دكتور

أحمد عبد الرحمن

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

يمكن القول إن التراث العربي الإسلامي يشبه منجماً للمعادن الثمينة . فالباحثون فيه يجدون كنوزاً من المعادن النفيسة ، لكنها مختلطة بالتراب والحصى والمعادن الخسيسة ، فيعمدون إلى التقاط عروق الذهب وصفائح الفضة ، وينفضون عنها ما علق بها من التراب والحصى ، لكي يستعملوها في تشييد البنايات العلمية الرائعة .

- لكن الدكتور سيد القمني يفعل العكس ، فهو يجمع التراب والحصى والصفيح لكي يشوه به عقائد الإسلام وشرائعه وأخلاقياته . ذلك لأنه يريد أن يستبدل بالإسلام نظامًا علمانيًّا يحقق للعرب التقدم والنهوض .

- إنه يشكك في صدق محمد بن عبد الله ﷺ ، وفي صدق الأنبياء جميعًا ويصرح بأنهم كذابون من إبراهيم أبي الأنبياء إلى آخر نبي . وبذلك يكذِّب عشرات الآيات القرآنية التي تشهد لهم بالصدق والنبوة ـ صلى الله عليهم أجمعين .

- وهو يشكك في كبار المحدِّثين دون استثناء .

- وهو لكي يسوِّغ شكه في الإسلام يزعم أن الصحابة كانوا يشكون في الإسلام « برمته » ! يعني هم كانوا يشكون في صدق النبي ﷺ ، وفي القرآن وفي العقائد والشرائع الإسلامية .

- وهو يتعجب من الذين طالبوا بمحاكمته ، ويقول : لِمَ لَمْ تحاكموا الإمام الغزالي الذي كان شاكًا في الدين مثله ؟

- وهو يزعم أن عمر بن الخطاب ﷺ رفض سُنة النبي وأمر بمنعها وحرّم ما أحله النبي ، وأحل ما حرّمه !

- وهو يشكك في عدد من الآيات القرآنية ويسخر منها !

● وبصفة عامة يغفل القمني الصورة العُلوية المعروفة للبعثة المحمدية ، تلك التي بدأت بجبريل ولقائه برسول الله في غار حراء ، وما تبع ذلك من دعوة الناس إلى التوحيد ، ووقوف المشركين الوثنيين في طريقها ، وقتل بعض الذين أسلموا ، إلى غير ذلك من أحداث جسام .

- القمني يرسم لنا صورة أخرى خالية من الوحي ومقطوعة الصلة بالسماء! صورة أرضية بشرية تجارية مادية ، ليس فيها ملائكة ولا معجزات ولا آيات ولا كرامات . وقد اختفت الصورة الإلهية الروحية الملائكية وراء تلال الطين والحصى والرمال والمعادن الخسيسة التي حرص القمني على جمعها . وهو لا يُلقي بالاً لأي خبر يمكن أن يُظهِر الصورة الروحية . ولا يجد غضاضة في الاستناد إلى الخرافات والخزعبلات وأقوال السحرة والعرافين لتدعيم مزاعمه الهشة !

- وهو لا يستشهد بآيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول إلا إذا أمكنه أن يحرفها ويحملها على أن تقول القول الذي يشتهيه !

● وقد نال القمني جزاءه من وزير الثقافة المصرية ـ صديقه فاروق حسني ، وبمساعدة الزمرة العلمانية المسيطرة على مقدرات الوزارة ، من أمثال الدكتور حسن حنفي والدكتور جابر عصفور .

- وكان فاروق حسني قد أعلن عند توليه الوزارة أنه سيعمل على أن يحل «الخيال المادي» محل «الخيال الغيبي» ! ولم يفهم نواب مجلس الشعب معنى التصريح ، فمر عليهم مرور الكرام . وواضح أن الخيال المادي هو الفكر المادي ، وأن الخيال الغيبي يقصد به دين الإسلام الذي يقوم على الإيمان

بالغيب . وسارت الوزارة على هذا الخط المادي العلماني المعادي للإسلام ، وجمعت كل العناصر القادرة على الإسهام في تطبيقه ، وجرى العمل فيه على قدم وساق .

وجاء الدكتور سيد محمود القمني وانضم إلى الزمرة العلمانية . وقد عرفوا له قدْرَه فمنحوه جائزة الدولة التقديرية التي لا يجب أن ينالها إلا كبار المفكرين والفنانين والعلماء ، لكنها ابتذلت حتى رفض الترشيح لها الروائي علاء الأسواني ، ورفضها من قبله الروائي السوداني صنع الله إبراهيم .

- وكان من الطبيعي أن يتعرض القمني لسيْل من الانتقاد والرفض من جانب الغيورين على الحقائق ، وعلى الإسلام . ولكنه لم يستفد من النقد ، واعتبره « تصيُّدًا للأخطاء » ! وغضب وثار في وجه الدكتور عبد المنعم عبد الحليم أستاذ التاريخ بجامعة الإسكندرية الذي بيَّن أخطاءه . وقد رد القمني أخطاءه إلى المصادر التي ينقل عنها ليبرِّئ نفسه من الخطأ ، لكنه اعترف بذلك أنه ينقل عن المصادر دون تمحيص . وبدلاً من أن يشكر الدكتور عبد المنعم اتهمه بأنه « جلس يتصيَّد» الأخطاء ! ربما لأن القمني نفسه حين ينقد يفعل ذلك ، أعني يتصيد الأخطاء ! والحق أنه عزوف عن الحقائق مغرم بالأخطاء ؛ وإذا لم يجدها يخترعها اختراعًا !

- إن الكاتب العلمي يرحب بالنقد الموضوعي ولا يضيق ذرعًا به . لكن القمني يسعى إلى مناطحة الحقائق وتكذيب البدهيات ! وهو يعتبر ذلك بطولة وجسارة يفخر بها !

ونحن في هذه الدراسة سوف نبيِّن بعون الله تعالى ضخامة الأخطاء التي اقترفها . ولن يمنعنا أسلوبه المراوغ الملتوي من فضْحه وتعرية أكاذيبه القبيحة .

القاهرة في : ١٦ ربيع الآخر ١٤٣١هـ
الموافق : ١ أبريل ٢٠١٠ م

دكتور
أحمد عبد الرحمن

المبحث الأول

مكة قُبَيل البعثة المحمدية

● عبد المطلب بن هاشم وولده عبد الله

- وأنا أبدأ بعرض الصورة الأرضية المزورة للبعثة المحمدية بقصة عبد المطلب بن هاشم ، جدّ النبي محمد (ﷺ) .

- وتقول الأخبار إن عبد المطلب كان قد نذر لئن وُلد له عشرة أولاد ، وبلغوا معه حتى يمنعوه ، ليَنْحِرنَّ أحدهم عند الكعبة . وقد تحقق له ما أراد ، فشرع في الوفاء بالنذر ، وجمع أولاده ، وأعطى كل واحد منهم قدحًا ، وطلب من كل واحد منهم أن يكتب اسمه فيه . ولما فعلوا ما أمرهم به : « دخل بهم على الصنم هُبَل (الذي كان قائمًا) في جوف الكعبة . وقال عبد المطلب لصاحب القداح : اضرب على بَنيَّ هؤلاء ، ليُعلم مَن الذبيح من بينهم . وقام عبد المطلب عند هُبل يدعو الله » .

- ضرب صاحب القداح على أولاد عبد المطلب ، فخرج القِدْح على عبد الله !

- وأخذ عبد المطلب ولده الحبيب عبد الله إلى الكعبة لكي يذبحه هناك وفاءً بنذره . واعترض القوم عليه ، واقترحوا عليه الذهاب إلى عَرّافة بالحجاز اسمها سجاح ، لعلها تجد له مخرجًا من المأزق الذي وقع فيه .

- وذهب عبد المطلب إلى العرافة ، وشرح لها القصة ، فاقترحت عليه أن يضرب القداح على عبد الله وعلى عشرة من الإبل ، فإن خرجت على الإبل

ذبحوها وانتهى الأمر . وإن خرجت على عبد الله زادوا عدد الإبل . وكرروا الضرب حتى تخرج عليها . وتكرر الضرب حتى بلغ عدد الإبل مائة[1] .

- وهكذا نجا عبد الله من الذبح . وفرح بذلك عبد المطلب ، وانتهز الفرصة ليزوجه[2] .

- فيقول الخبر إن عبد المطلب انصرف ومعه ولده عبد الله : « حتى أتى وهب بن عبد مناف بن زهرة . . . وهو يومئذ سيد بني زهرة سنًّا وشرفًا ، فزوجه ابنته آمنة بنت وهب وهي يومئذ سيدة نساء قومها »[3] . وهذا الخبر يتسق مع ظروف الحدث ، ولا يجد المرء أية شائبة يمكن أن تهز ثقته في صحته .

● الوحي في الصورة الأرضية ومنخار عبد المطلب !

- لكن القمني يأخذ براوية أخرى ، الوحي فيها حبر يهودي ـ بدلاً من جبريل ـ وكان عبد المطلب محظوظاً لأنه قابل ذلك الحَبْر في اليمن وبشره ببشرى عظيمة !

- لقد طلب الحبر اليهودي فحص منخار الزعيم القرشي الكبير ، فوافق ولم يعترض ، وكانت المفاجأة المذهلة أنه رأى في منخاره نبوة وملكاً ! وقال الحبر أو العراف : إن بني زهرة شركاء له في النبوة والملك ، وعليه أن يصهر إليهم !

- وصدّق الزعيم القرشي النبيل ما قاله الحبر ، فأسرع ـ بعد عودته إلى مكة ـ إلى بني زهرة يطلب مصاهرتهم بتزويج ولده عبد الله من ابنتهم آمنة بنت وهب الزهرية .

---

(١) سيرة ابن هشام : ١/١٠٠-١٤٢ : وابن كثير : البداية والنهاية : ٢/٢٤٩-٢٥٤

(٢) ابن كثير : ٢/٢٤٩-٢٥٤

(٣) المرجع السابق .

- وقد تحققت نبوءة الحبر اليهودي فأنجب عبد الله وآمنة محمداً ، الذي صار بعد أربعين سنة نبيًا وملكا[1].

● وهكذا وجدنا القمني يعزف عن الخبر الصحيح الذي يخلو من الخرافة ، ومن المبالغة ، ويأخذ بخرافة مضحكة لا يسيغها عقل طفل ! وسنجده يبني عليها قصة « حزب بني هاشم » ، وتدبير أمور النبوة المحمدية ، وإنشاء الدولة الإسلامية ! فهذه الأحداث الكبرى خرجت كلها من منخار عبد المطلب وبوحي من الحبر اليهودي !

- والباحث المنصف يرى أن من غير المعقول أن يسمح عبد المطلب - الرجل الكبير الحكيم - لدجال أن يعبث بمنخاره ، ثم يعبث بعقله بعد ذلك .

- والظاهر أن قصة منخار عبد المطلب قد راقت للقمني ، فوجدناه يكررها مرة أخرى[2].

- ويلاحظ هنا أن القمني نسي موقفه المعادي للصهيونية ، فاحتضن الخرافة العبرانية ، لكنه يرفض قصة سيدنا موسي القرآنية . فهو مؤيد لفرعون جدنا المصري ضد نبي الله موسى ، العبراني ! ! ولا يهمه أن القرآن الكريم أدان فرعون وظلمه ، وامتدح موسى نبي الله الكريم .

● هذه التناقضات والخرافات لدى القمني مردُّها إلى رغبته العارمة في إقناع القارئ بصحة الصورة الأرضية البشرية المادية للبعثة المحمدية . ففي هذه الصورة الأرضية البشرية المادية للبعثة المحمدية . الذي يُوحي بالنبوة بَشَر ، والذي تلقاها بَشر ، فلا جبريل ولا تنزيل ولا « اقرأ » ولا ملائكة ولا صلة بين السماء والأرض !

وتهتز صورة عبد المطلب في يده مرة أخرى ، فينسب إليه التخطيط الاستراتيجي للنبوة والمُلك ، وهو الذي سلّم منخاره الشريف لدجال يمني ،

---

(١) سيرة ابن هشام ؛ ١٥٦/١

(٢) الحزب الهاشمي ؛ ص ٢٨

وسلَّم بصدق الوحي الذي أوحاه إليه ! وتصطدم صورة عبد المطلب في رسم القمني مع الحقائق التاريخية . فعبد المطلب وقف في جوف الكعبة إلى جوار الصنم الأكبر «هُبل» وراح يدعو الله أن ينجي ولده . وهو يحتكم إلى عرَّافة للبت في مصير ولده الحبيب . وهذا يتناقض مع صورة عبد المطلب الذي ينسب إليه القمني وضع مفهوم جديد للاعتقاد لجمع العرب على إله واحد ، وتأسيس ملَّة ، وأن حفيده محمدا هو نبي هذه الأمة وموحدها . وتوكيد أن عبد المطلب كان يعلم بكل ذلك علماً يقينًا مسبقًا .

- ومن الجليِ أنه لو كانت أوهام القمني صحيحة لكان عبد المطلب هو النبي ، ولكان أعلم أولاده بنبوته ، ولكان أول الرافضين للأوثان وأولهم «هبل». لكن شيئاً من هذا لم يحدث وظلت الأوثان قائمة والمشركون يعبدونها إلى أن حطمها رسول الله ﷺ بعُيَيْد فتح مكة .

- وقد مات عبد المطلب ، وحفيده محمد لم يكن قد بلغ الثامنة بعد ولم يؤثر عنه أنه قال لمحمد إنه سيكون نبي هذه الأمة وملكها . ولم يؤثر عنه أنه قال له أو لأحد من أولاده : لا تعبدوا إلا الله الواحد الأحد . ولم يصرح عبد المطلب لأحد بأنه على عقيدة جديدة تخالف ما كان عليه آباؤهم . وحتى ولده أبو طالب رفض أن يستجيب لدعوة النبي ﷺ بقبول التوحيد . وهذا موقف معروف للجميع .

● ملَّة إبراهيم الحنيفية . . . الحقيقة والأكذوبة

- وحاول القمني أن يجعل ملة إبراهيم ، عليه السلام ، هي مصدر الصورة الأرضية البشرية لبعثة النبي محمد ﷺ فهو يزعم أن الحنيفية انتشرت : «وبدأ أتباعها يتنافسون في التقوى والتسامي الخلقي عَلَّ أحدهم يكون نبي الأمة وموحد كلمتها ، حتى شكلوا تياراً قويًا . خاصة قبل ظهور الإسلام بفترة وجيزة»[1].

---

(١) الحزب الهاشمي : ص ٢٩

● والحق أن محمدًا ﷺ اتبع ملة إبراهيم التي هي الإسلام ، دين التوحيد ، وقد تلقاها وَحْيًا من عند الله تعالى . فيقول الحق جل شأنه : ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ﴾ (النحل:١٢٣) أي أن النبي ﷺ تلقاها وَحْيًا من عند الله تعالى ولم يلتقطها من أفواه الشعراء الجاهليين .

- ويقول الحق تبارك وتعالى ﴿ قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ﴾(الأنعام ١٦١).

● والحق أن ما وُرث عن ملة إبراهيم وبقي يتردد في أقوال الحكماء وشعر الشعراء لم يتجاوز شذرات وحقائق مبتورة ومبادئ أخلاقية ملتبسة لا يمكن أن تشكل دينًا بعقائده وتشريعاته وأخلاقياته . وكان الوحي الإلهي إلى محمد ﷺ يصوِّب الحقائق التي شوِّهت ، ويرفض ما علق بها من خرافات وانحرافات ، وما غَشَّى عليها من شِركيات ووثنيات .

- الشعراء والحكماء الذين عرفوا التوحيد

● وتذكر المصادر الإسلامية أسماء الشعراء والحكماء الذين عرفوا التوحيد، أو كرهوا الظلم ، أو اعتزلوا الأصنام ، أو كفوا عن شرب الخمر ، وغير ذلك من الدَّنايَا والموبقات . وكانت بواعثهم على ذلك : الترفع والأَنَفة . وقد عبَّر عن ذلك أحدهم فقال :

- تركتُ شرب الراح وهي أثيرة . . والمومسات وترك ذلك أشرف .

- وقد تحدثت المصادر عن :

- عبد المطلب بن هاشم
- وزيد بن عمرو بن نفيل
- وقس بن ساعدة الإيادي
- وقس بن عامر التميمي
- وصفوان بن أمية الكناني
- وزهير بن أبي سلمى المزني

- وأمية بن أبي الصلت الثقفي[1] .

- وتوسع القمني إلى حد كبير جداً في النقل عن هؤلاء الشعراء ، لينتهي إلى الإيعاز للقراء بأن ما ورد في شعرهم وأقوالهم هو نفسه الذي ورد في القرآن ، لكي يرسِّب في ذهن القارئ أن النبي محمداً اقتبس ذلك التراث ووضعه في القرآن .

- فالقرآن ـ على ذلك ـ تراث بشري لا صلة له بالسماء ولا دخل فيه لجبريل . إنه من إفرازات البيئة المكية التي كانت بحسب القمني حُبلى بدين جديد .

● وهذه هي الصورة الأرضية البشرية للبعثة المحمدية . وهي صورة مزورة ومختلقة . فقد عرف العرب شذرات من ملة إبراهيم ، لم تتجاوز بعض الأفراد ، وقد جثمت الوثنية بأصنامها العديدة على قلوب الملايين وعقولهم فلم يسمع عن ملة إبراهيم إلا قلة قليلة في كل عصر .

- ويقال إن «عمرو بن لحي» كان أول مَن نصب الأصنام في الكعبة ، ثم اتبعه الجهلة من عُبَّاد الأوثان : «وبدَّلوا ما كان الله بعث إبراهيم خليله من الدين القويم والصراط المستقيم ، من توحيد عبادة الله وحده لا شريك له ، وتحريم الشرك . وغيروا شعائر الحج ومعالم الدين». «ثم صارت هذه الأصنام في العرب بعد تبديلهم دين إسماعيل». [2] ثم تكاثرت أعداد الأصنام لدى القبائل المختلفة .

● وكان من الطبيعي ألا يتقبلوا دعوة النبي ﷺ ، وأن يقولوا ﴿ أَجَعَلَ ٱلْأَلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴾ (ص:٥) وقاتلوا المسلمين قتالاً مريراً ،

(١) سيرة ابن هشام : جـ ١ ، والملل والنحل ، للشهرستاني : جـ ٣ ، والبداية والنهاية لابن كثير : جـ ٢ .

(٢) ابن كثير : البداية والنهاية : ١/١٩٤ ، ١٩٥ .

﴿ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ﴾ (ص:٦) واضطر المسلمون ، وهم قلة قليلة ، إلى الهجرة إلى الحبشة ، ثم إلى يثرب فرارًا بدينهم . ولم يذكر المؤرخون أن أحدًا من أتباع ملة إبراهيم قد أشفق على المسلمين الضعفاء المضطهدين أو انضم إليهم ضد المشركين ، لأنه لم يكن هناك أحد منهم أصلاً !

- هذه الحقائق تكذب مزاعم القمني أن مكة كانت تشهد تيارًا قويًّا من أتباع الحنيفية .

- ولقد أخبرنا القرآن الكريم بأن الجاهليين كانوا يقرون بوحدانية الله : « غير أنهم كانوا يشركون في عبادته ما كانوا يشركون فيها ، فقال ﷻ ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾ (الزخرف:٨٧) »[1] ووصفهم القرآن الكريم بالمشركين في عشرات الآيات ، وأدانهم إدانة منكرة . ولم يذكر أحدًا ممن كان على ملة إبراهيم الحنيفية ، لأنه لم يكن يوجد منهم أحد في مكة في فترة نزول القرآن .

● الأديان التي عرفها العرب

- وذكر المؤرخون أن العرب عرفت النصرانية واليهودية والمجوسية والزندقة .

- كانت النصرانية في ربيعة ، وغسان وبعض قضاعة .
- وكانت اليهودية في حمير ، وبني كنانة ، وبني الحارث بن كعب ، وكندة ،
- وكانت المجوسية في تميم .
- وكانت الزندقة في قريش ، أخذوها من الحيرة .
- وكان « بنو حنيفة » اتخذوا في الجاهلية إلهًا من حيس[2] فعبدوه دهرًا طويلاً ، ثم أصابتهم مجاعة فأكلوه[3].

---

(١) تفسير الطبري ؛ ٣٧١/١ .

(٢) الحيس : تمر وأقِط وسمن تخلط وتعجن وتسوّى كالثريد .

(٣) ابن قتيبة ؛ المعارف ؛ ص ٦٢١ .

● وهكذا ذُكرت أديان القبائل ، ولم تُذكر الحنيفية من بينها . ونحن نلاحظ أن الزندقة كانت في قريش ، وهي أبعد الأفكار عن التوحيد وعن ملة إبراهيم .

- فأين تيار الحنيفية القوي الذي تحدث عنه القمني؟ !

- إن ذلك التيار لم يوجد أصلاً ، ولم يكن قويًا ولا ضعيفًا . ولكن القمني يريد أن يقدم مصدرًا أرضيًا بشريًا للوحي ، ليحل محل جبريل في الصورة الحقيقية للبعثة المحمدية .

● لقد عبد العرب الأصنام في جاهليتهم ، وأطبقت عليهم الوثنية بظلامها وظُلماتها ، وجاء القرآن من عند الله ليخرجهم من الظلمات إلى النور . فيقول الحق تبارك وتعالى ﴿ الٓر ۚ كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾ (إبراهيم:١) وقال أيضًا ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَـٰتٍۭ بَيِّنَـٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾ (الحديد:٩) وهذه الظلمات هي التي يزعم القمني أنها كانت تيارًا قويًا من التوحيد على ملة إبراهيم كان يضيء جنبات البيئة المكية !

- عبَدَ الجاهليون الأصنام : «وَدًّا» و«سواعًا» و«يغوث» و«يعوق» و«نَسْرًا» . وكان «وَدًّا» لـ«كلِب» وهو بدومة الجندل ، و«سُواع» لـ«هُذيل»، وكانوا يحجون إليه وينحرون له . و«يغوث» لـ «مذحج» ولقبائل من اليمن ، و«يعوق» لـ«همدان» و«نَسْر» لـ«كلاع» بأرض حمير ، وكانت «اللات» لـ«ثقيف» بالطائف ، و«العزى» لـ«قريش» وجميع بني كنانة وقوم من سليم ، و«مناة» للأوس والخزرج وغسَّان . و«هُبل» أعظم الأصنام عندهم ، وكان على ظهر الكعبة ، و«إساف» و«نائلة» على الصفا والمروة . وكان لـ«بني ملكان» من كنانة صنم يقال له «سعد»[1].

---

(١) الشهرستاني : الملل والنحل : ٧٧/٣ ، ٧٨

- ومن العرب مَن كان يَصْبُوا إلى الصابئة . . ومنهم من كان يصبوا إلى الملائكة فيعبدهم ، بل كانوا يعبدون الجن[1]. وقد أنكر عُبَّاد الأوثان الرسل . وبعضهم أنكر بعث الأجسام[2].

● ويقول «ج . سال» إن ما قابله محمد وأتباعه في كل اتجاه لم يكن إلا خرافات منفرة ووثنية منحطة ومخجلة . . »[3] وهذا هو الوصف الحديث للظلمات الدامسة التي تحدث عنها القرآن الكريم في كثير من آياته .

- الموقف الإسلامي من التراث الجاهلي

● والموقف الإسلامي يظهر بوضوح حين نتذكر ما أبطله الإسلام وأنكره ، لا حين نقف عند ما أخذه وقبله . والباحث المغرض يقف عند ما أخذه الإسلام ، ويغفل ما أنكره وأبطله ، وذلك حين يريد أن يجرِّد الإسلام من أصالته وتجديده وتصحيحه . وهذا هو ما سعى القمني للترويج له .

- إن من أهم مبادئ الإسلام قبول الحق من أي مصدر جاء ، وكذلك إنكار الباطل ودحْضه وإسقاطه والجهاد ضده . وقد ساد هذا المبدأ منذ اللحظة الأولى للبعثة المحمدية ، ولا يزال حاكمًا في الموقف الإسلامي من الثقافة الغربية إلى اليوم . وقد استدعى هذا المبدأ عمليات فحص وفرز وتقويم واسعة النطاق لتمييز الحق من الباطل والصالح من الفاسد . ولم يتردد المسلمون في قبول بعض ما كان لدى الجاهليين ، لكنهم أنكروا تلالاً من الأفكار والعقائد والتقاليد التي كانت سائدة . والقمني سار على النهج الأحادي الخاطئ ، فأنفق صفحات من كتاباته لكي يعثر على كلمة أو عبارة تشبه شيئًا من آيات القرآن الكريم ، بُغية تسريب الاعتقاد بأن الوحي الذي أملَى القرآن هو التراث الذي كان سائدًا في ذلك الزمان . فالقرآن أنكر الوثنية لأن الشاعر الفلاني اعتزل

---

(١) الشهرستاني : الملل والنحل : ٨٢/٣ .

(٢) المصدر السابق ص ٨٠ .

(٣) نقلاً عن دكتور محمد عبد الله دراز : مدخل إلى القرآن الكريم : ص ١٣٦ ، ١٣٧ .

الأوثان والإسلام أوجب العدالة وأدان الظلم لأن بعض زعماء العرب نفر من الظلم ، والإسلام حرم الفحشاء لأن أحد الشعراء تعالى على الموسات !

- والقرآن يعلِّم المسلمين أن يأخذوا المعروف - وهو يشمل كل حق وكل خير ، وينهاهم عن المنكر - وهو كل باطل وخطأ . فيقول ﷻ : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ (آل عمران:١٠٤) ويقول سبحانه : ﴿ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ ﴾ (الأعراف:١٥٧) فمن الواجب على الأمة المسلمة أن ترحب بكل حق وصواب وصلاح لدى الأمم الأخرى . وقد نص القرآن الكريم على وحدة الديانتين - الحنيفية الإبراهيمية والإسلام . فالحنيفية اسم آخر للإسلام وقد أخذ كثير من الشعراء والحكماء أجزاء من تراث الحنيفية . ولذلك قبل الإسلام ما أخذوه بعد تمحيصه ونقده وتطهيره من الأدران التي علقت به . وجاءت في القرآن آيات تأمر بعقائد التوحيد التي عرفتها الحنيفية ومن قبلها أنبياء الله من آدم إلى عيسى ، عليهم السلام . فمن السخف وقصر النظر أن يتخيل باحث أن محمدًا لم يتلق وحيًا من السماء ، ولكنه ألف القرآن من ذلك التراث الذي كان متناثرًا في شعر العرب ، كما أراد القمني أن يقنع قراءه .

● وقد عني بعض الباحثين المسلمين ببيان ما أقره الإسلام من تقاليد العرب وما أنكره منها .

- قال الشهرستاني نقلاً عن محمد بن السائب الكلبي : « كانت العرب في جاهليتها تحرم أشياء نزل القرآن بتحريمها : كانوا لا ينكحون الأمهات ولا البنات ولا الخالات ولا العمات».

« وكان من أقبح ما يصنعون أن يجمع الرجل بين الأختين ، أو يختلف على امرأة أبيه (يعني يتزوجها بعد وفاة أبيه !) ».

- «وكانوا يطلقون ثلاثًا على التفرقة»[1].

- «وكانوا يحجون البيت ويعتمرون ويُحْرِمون» . . . ويطوفون بالبيت سبعًا ، ويرمون بالحجر ، ويسعون بين الصفا والمروة . . وكانوا يلبُّون ، إلا أن بعضهم كان يشرك في تلبيته في قوله : إلا شريك هو لك تملكه وما مَلَكَ».

- فما معنى هذا؟

● لقد أقر الإسلام الصواب ورفض الخطأ .

«وكانوا يكرهون الظلم في الحَرَم»[2].

● وجاء الإسلام بكُرْه الظلم والظالمين في الحرم وفي كل مكان وزمان .

« ومنهم مَن كان ينسيء في الشهور» .

● فقال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٌ فِي ٱلْكُفْرِ ﴾ (التوبة:٣٧)

«وكانوا إذا ذبحوا للأصنام لطخوها بدماء الهداية ، يلتمسون بذلك الزيادة في أموالهم»[3].

● وحرَّم الإسلام الذبح لغير الله وبذلك قضى على ذلك التقليد نهائيًا .

● ونهى بعضهم عن عبادة الأصنام ، فلقيَ من قريش شرًا .

● وجاهد المسلمون وقاتلوا وقُتِلوا حتى قضوا على الأصنام والأوثان ودخل العرب في دين الله أفواجًا .

● «وكانوا يغتسلون من الجنابة ، ويغسلون موتاهم»[4].

● وأيَّد الإسلام ذلك وجعله فريضة دينية .

«وكانوا يكفنون موتاهم ويصلون عليهم» .

---

(١) الملل والنحل ؛ ٣/٩٠ .

(٢) المرجع السابق ؛ ص ٩٢ .

(٣،٤) الملل والنحل ؛ ٣/٩٣ .

● واعتمد الإسلام التكفين ، والصلاة على الميت ، ولكنه أتى بقواعد جديدة للتكفين ، وصلاة إسلامية لم يعرفها المشركون .

● « وكانوا يداومون على طهارات الفطرة التي ابتلي بها إبراهيم . . المضمضة والاستنشاق وقصّ الشارب والفرق ، والسواك . . . والاستنجاء وتقليم الأظافر ونتف الإبط » .

● فلما جاء الإسلام قررها من السنن »[1].

■ وهكذا أيَّد الإسلام كل صواب ودعَّمه ، كما نبذ كل خطأ وحرَّمه . وبذلك أسس حياة جديدة نظيفة طاهرة .

● وفي نظام الزواج اتخذ الجاهليون أربعة أشكال :

- فكان الرجل يخطب المرأة ثم يتزوجها - وهذا الشكل هو ما تبناه الإسلام وضبطه لكي يحفظ حقوق الزوجين والأولاد والمجتمع .

- وكانت المرأة يكون لها خليل يختلف إليها ، فإن ولدت قالت هو لفلان ، فيتزوجها بعد ذلك . وقد حرَّم الإسلام ذلك ، لأنه زنا صريح .

- وكانت المرأة يختلف إليها النفر ، وكلهم يواقعها في طهر واحد . فإذا ولدت ألزمت الولد أحدهم . وتلك دعارة وفاحشة مبينة حرَّمها الإسلام .

- وكانت النساء البغايا والداعرات ، يختلف إليها كثير من الرجال ، وكلهم يواقعها . فإذا ولدت جمعوا لها القافَّة ، فيلحقون الولد بشبيهه »[2]. وهذه دعارة وفاحشة مبينة ، فحرَّمها الإسلام .

● ففي نظام الزواج يظهر « المعروف » أو « الصواب » الذي قبلَه الإسلام ويظهر « المنكر » الذي حرَّمه . وبهذا الموقف المبدئي طهَّر الإسلام الحياة الاجتماعية من الفوضى الجنسية العفنة التي كانت تفسد على القوم حياتهم

---

(١) الملل والنحل ؛ ٣/٩٤ .

(٢) الشهرستاني ؛ الملل والنحل ؛ ٣/٩١ .

الاجتماعية بما تفضي إليه من أمراض ومشكلات للرجال والنساء والأولاد المساكين المولودين من سفاح .

- ولم يستق محمد ﷺ النظام الإسلامي من شعر الشعراء ولا من أقوال الحكماء ، وإنما من الوحي الذي تنزل عليه من السماء على امتداد ثلاثة وعشرين عامًا بما هو حلال وما هو حرام في علاقة الرجال بالنساء . ولا يزال هذا النظام هو صمام الأمان للأمة المسلمة في مواجهة الغزو الغربي الذي تحلل من كل القواعد والقيم ، اللهم إلا قلة قليلة من الأشراف الذين يتمسكون بالنظام اليهودي أو المسيحي وقيم العفة والطهارة .

● وبصفة عامة فعند مجيء الإسلام كانت شرائع الله التي عرفها العرب إما مبدلة وإما منسوخة ، وكان بعضها مجهولاً وبعضها متروكًا[١] .

- لقد رفض الإسلام الخطأ ، وأقر الصواب ، ونقّى المحرف من شوائب التحريف ـ فعل الإسلام ذلك في العقائد والتشريع والأخلاق جميعًا :

أ- رفض عقائد التعدد والتجسيد ، وأكد بقوة على عقيدة التوحيد الخالص .

ب ـ رفض المبدأ التشريعي الساذج الذي يبيح محاكمة الحيوان ، والذي كان معتمدًا لدى اليونان والرومان واليهود[٢] . وأرسى التكليف والمسئولية القانونية والخلقية على العقل ، كما جعل « جناية العجماء جُبار » .

جـ ـ وفي التشريع والأخلاق نبذ الإسلام مبدأ العنصرية الضيق المتخلف ، وأكد مبدأه الإنساني الذي لا يفرق بين الأجناس والألوان ؛ وكانت العنصرية شريعة أساسية لدى اليهود لم تنبذها المسيحية في صدرها الأول على الأقل .

وهذا المبدأ الإنساني أحدث ثورة في الأخلاق والتشريع جميعًا .

---

(١) ابن تيمية : اقتضاء الصراط المستقيم ؛ ط ٢ ص ٢ .

(٢) دكتور دراز : دستور الأخلاق في القرآن ؛ ص ٢٦٦ .

د ـ وفي التشريع أقر مبدأ الدية في الجرح والقتل ، وكان من مبادئ العرب ، ولم يكن في التوراة إلا العفو أو القصاص[1].

هـ ـ وفي التشريع أيضًا رفض الإسلام تقرير الرق كجزاء للسرقة ، وقد كان ذلك في الشرائع السابقة [2] ، وبذلك قفل بابًا واسعًا من أبواب الاستعباد وخطا خطوة كبرى نحو تحرير الإنسان .

و ـ أنشأ الإسلام مبدأ المسئولية الفردية وألغى المسئولية الجماعية الذي كان معمولاً به لدى العرب . وهذه ثورة أخرى لا تقل عن إلغاء العنصرية وتوكيد المبدأ الإنساني .

ز ـ واستكمالاً لمبدأ المسئولية الفردية ألغى الإسلام فكرة الإدانة الشاملة للجنس البشري ولم يقبلها ضمن عقائده ، وهي التي تمثل صلب عقيدة المسيحيين ، وأقر مبدأ : ﴿ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾(النجم:٣٨) . وهذا المبدأ يكفي وحده لإنتاج سلسلة من الفروق بين الشريعة المسيحية والشريعة الإسلامية ، أولها رفع الظلم الذي تعنيه المسئولية الجماعية .

وهكذا نجد في كل ناحية : «نوع مغايرة يتميز بها دين الله المحكم عما قد نُسخ أو بُدِّل»[3] . بهذه المبادئ الأصيلة أكمل الإسلام النظامين التشريعي والأخلاقي[4] ، وبسببها قرر جمهور المسلمين أن شرع من قبلنا ليس شرعًا لنا إلا إذا قام دليل على أن ديننا يطالبنا به .

- الحقائق المطلقة والأحكام الظنِّية

● فلا بد لنا هنا أن نتذكر الفروق الأساسية بين الحقائق المطلقة ، والأحكام الظنِّية . فالحقائق المطلقة ثابتة خالدة لا تتغير بتغير الزمان أو المكان .

---

(١) روح المعاني ؛ ٦/١٥٠ .

(٢) المرجع السابق ؛ ٦/١٣٤ .

(٣) ابن تيمية : اقتضاء الصراط المستقيم ، ص ١٧٧ .

(٤) دكتور دراز : دستور الأخلاق في القرآن ، ص ٨ ، ٩ .

والمبادئ الرياضية هي الأنموذج للحقائق المطلقة . فقواعد الجمع والطرح والقسمة في علم الحساب ثابتة لدى جميع الأمم ، في جميع العصور . ومن ثمَّ لا يجوز أن يقال إن أمة نقلتها عن أمة أخرى . والمبادئ الأخلاقية مثل القواعد الرياضية ، ثابتة خالدة مطلقة . فاحترام العهد فضيلة عند جميع الأمم ، وهو شرط جوهري لاستقامة الحياة البشرية [1].

- وهذه المطلقات هي التي انتقلت من الحقب الزمانية القديمة إلى الحقب التالية ، ولقيت القبول والاحترام من شعوب الأرض . ومن تلك المطلقات الاعتقاد بوجود إله واحد خالق لهذا الكون وإن حدث الاختلاف في تصوره . وإذا قيل إن الملاحدة لا يعترفون بالخالق فإنهم يواجهون معضلة تفسير وجود المخلوقات ، الأمر الذي يثبت خطأ فكرة الإلحاد ، ويدعم الاعتقاد بوجود الخالق ﷻ .

● والإسلام يعتمد عددًا من المطلقات في العقيدة والشريعة . وهي ثوابت في كل رسالات أنبياء الله . وتوحيد الله يأتي على رأس هذه المطلقات . والقرآن كتاب منزل من عند الله لا ريب فيه حقيقة مطلقة ، فيقول الحق تبارك وتعالى ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ (البقرة:٢) وقد تحدّى المعارضين من المشركين فقال : ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ ﴾ (البقرة:٢٣) والبعث ويوم القيامة لا ريب فيه . قال تعالى : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ (النساء:٨٧) هذه نماذج للحقائق المطلقة في الإسلام ، ولا ريب فيها . وهي هكذا منذ آدم إلى محمد ، ولدى جميع الأنبياء . وبقي بعضها في التراث العربي حتى زمن البعثة المحمدية .

● لكن في الإسلام أحكامًا ظنية : وهذه الحقيقة يتناساها العلمانيون بقصد الإساءة إلى الإسلام وتصويره على أنه دين جامد لا يقبل أي تغيير أو تبديل . وهذه الآفة المنهجية ملحوظة في كتابات القمني .

---

(١) نيكولاي هارتمن : مبادئ ميتافيزيقا المعرفة (بالفرنسية) ١/٢٨٩ .

- وأصل الموقف العلماني هو تبني «النسبية» أو «السفسطة» التي تزعم أن القواعد والحقائق تتغير بتغير الزمان والمكان، دون تمييز بين المطلقات والظنيات.

- وقد ميز الإمام الشاطبي رحمه الله (توفي ٧٩٠هـ) بين الثوابت والمتغيرات فقال: العوائد المستمرة ضربان، أحدهما: العوائد الشرعية التي أقرها الدليل الشرعي أو نفاها. ومعنى ذلك أن يكون الشرع أمر بها إيجابًا أو ندبًا أو نهى عنها كراهةً أو تحريمًا، أو أذن فيها فعلاً وتركًا. والضرب الثاني: هي العوائد الجارية بين الخلق بما ليس في نفيه ولا إثباته دليل شرعي؛ فأما الأول فثابت أبدًا، كسائر الأمور الشرعية،[1] والثاني قابل للتغيير.

● وقد خلط كثير من العلمانيين بين:

- الحقائق،

- ومعرفة البشر بها.

- وقد أدى ذلك الخلط إلى اضطراب كبير وتشويش في مختلف المجالات العلمية؛ فقيل إن الحقائق متغيرة. وضُرب المثل بدوران الأرض حول الشمس حيث اعتقد البشر أن الشمس هي التي تدور حول الأرض، ثم ظهر أن العكس هو الصواب. لكن الحقيقة الثابتة المطلقة هي أن الأرض هي التي تدور حول الشمس، وأن «معرفة البشر» بتلك الحقيقة هي التي تغيرت مع تقدم البحوث في المسألة. فبصفة عامة: الحقائق ثابتة، ومعرفة البشر بها هي التي تتغير.

- هذه الحقائق معروفة لدى العلماء منذ مدة طويلة. لكن بعض الكُتّاب أعجبوا بالخطأ وظلوا يتناقلوه جيلاً بعد جيل، حتى صار مُسَلَّمة عندهم!

- وفي الإسلام هناك مجال يُسمّى مجال العفو، وهو الذي أشار إليه الإمام الشاطبي، حيث تستند الأحكام إلى المصلحة واجتهادات العلماء في تقديرها.

---

(١) الموافقات ؛ ٢٨٣/٢ ، ٢٨٤ .

وقد تتغير تلك الأحكام الظنية بحسب المصالح . وبذلك تسمح بالتطور والتغيير في مجالات عديدة إدارية وفنية وتربوية . ولهذا استوعب المجتمع المسلم التطورات الحديثة التي لا تتنافى مع النصوص الشرعية ومقاصد الشرع ومبادئه . فالمطلقات ضمنت للمسلمين الحفاظ على هويتهم المتميزة . والمتغيرات سمحت لهم بالتطوير والتغيير في المجالات المختلفة .

* * *

البيت الحرام في الصورة العلوية
في مواجهة الصورة المزورة عند القمنى

البيت الحرام في الصورة العلوية

وردت في القرآن الكريم عدة آيات حددت الصورة العلوية لبيت الله الحرام. وسوف نرى كم هي متناقضة مع الصورة الأرضية البشرية التي رسمها القمنى.

يقول الحق ﷻ: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ﴾

(آل عمران: ٩٦، ٩٧)

ويقول ﷻ: ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾

(البقرة: ١٢٥، ١٢٦)

وقال ﷻ: ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (البقرة ١٢٧)

وقال جل ثناؤه: ﴿ رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾ (إبراهيم: ٣٧).

وقال ﷻ: ﴿ جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِّلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (المائدة: ٩٧).

وقال ﷻ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ ۚ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (الحج: ٢٥)

وقال ﷻ : ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴾ (الحج: ٢٦)

● فالبيت الحرام هو أول بيت وضع للناس لعبادة الله وحده ، وبأمر من الله تعالى . وقد جعله الله تعالى مباركاً وجعله مأمناً لكل ضعيف ومظلوم ومستجير . والله تعالى هو الذي شرف نبيه إبراهيم ببنائه ومعه ولده إسماعيل ، وهو نبي فكانا يرفعان القواعد ويتضرعان إلى الله أن يتقبل منهما . والله تعالى هو الذي حدد مكان البيت ، وأمر ببنائه وتطهيره ، وعهد بذلك لأبى الأنبياء إبراهيم عليه السلام ، ليكون مسجداً للمصلين القائمين والركع السجود ، على دين التوحيد والبراءة من الشرك والمشركين . وتضرع إبراهيم إلى ربه أن يجعل أفئدة من الناس تهوى إلى ذريته التي أسكنها إلى جوار بيته الحرام في واد غير ذي زرع ، لكي يستطيعوا أن يعيشوا وأن يقيموا الصلاة ، وسأل الله تعالى أن يرزقهم من الثمرات .

واستجاب الله تعالى لدعاء نبيه الكريم فصار البيت الحرام في أبهى صورة وأعظم مكانة ، وحج إليه الملايين من الموحدين ، وحملوا إلى أهله الخيرات والأرزاق من كل صنف ولون ، وعمت البركات البيت وأهله وكل من قصده واحتمى به أو استجار ، وتشرف بالطواف والصلاة فيه .

● وأورد المؤرخون المسلمون أخباراً عديدة ، تنسب بناء البيت الحرام إلى آدم عليه السلام ، وتقول إن البيت الذي بناه آدم تهدم في عهد نوح بفعل الطوفان ، ثم بناه إبراهيم من جديد .

قال محمد بن سعد : «وأوحى الله إلى آدم : إن لي حرماً بحيال عرشي ، فانطلق فابن لي بيتاً فيه ، ثم حِفَّ به كما رأيت ملائكتي يحفون بعرشي ، فهنالك أستجيب لك ولولدك من كان منهم في طاعتي»[1].

فكانت الملائكة أول من طاف به[2].

ـ لكن ابن كثير ينفي أن يكون البيت الحرام مبنيًا قبل إبراهيم عليه السلام، ويقول: «لم يجيء خبر صحيح عن معصوم أن البيت كان مبنيًا قبل الخليل عليه السلام»[3].

ـ وفي اعتقادي أن ما قاله ابن كثير هو الصواب . ونحن يكفينا ما قاله كتاب الله تعالى لكي نرى الصورة الإلهية العلوية الباهـرة للبيت الحـرام . ومـع هـذا لا نغفل ما قاله المؤرخون المسلمون ، بل ننظر فيه ونقدره .

الشهرستاني :

– وذكر الشهرستاني أن آدم عليه السلام لما صار إلى أرض مكة : «دعا وتضرع إلى الله تعالى كي يأذن له في بناء بيت يكون لصلاته ومَطَافاً لعبادته . . . فأنزل الله تعالى عليه مثاله ذلك البيت على شكل سرادق من نور ، فوضعه مكان البيت ، فكان يتوجه إليه ويطوف به»[4].

– و« . . . . لما انتهت النبوة إلى إبراهيم الخليل عليه السلام ، وحَمْله هاجر (أم إسماعيل ابنه) إلى الموضع المبارك ، وولادة إسماعيل عليه السلام هناك . . . وعوْد إبراهيم إليه واجتماعه به في بناء البيت وذلك قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ (البقرة:١٢٧) . فرفعا قواعد البيت على مقتضى إشارة الوحي مرعيًا فيها المناسبات التي بينها وبين البيت المعمور ، وبقي الشرف العظيم إلى زماننا وإلى يوم القيامة دلالة على حسن القبول»[5].

---

(١) ابن سعد ؛ الطبقات الكبرى ؛ ٥٠/١ .

(٢) تفسير الطبري ؛ ٤٤٨/١ .

(٣) البداية والنهاية ؛ ١٦٨/١ .

(٤،٥) الملل والنحل للشهرستاني ؛ ٧٧/٣ .

- «وأول من وضع فيه الأصنام «عمرو بن لحى بن غالوثة» جاء بصنم أسموه «هُبل» ووضعه في الكعبة ، وكان معه «إساف» و«نائلة» على شكل زوجين . . . فدعا الناس إلى تعظيمهما . . . والتوسل بهما إلى الله تعالى . . إلى أن أظهر الله الإسلام فأُخرجت وأُبطلت . . . »[1]

- وقال ابن قُتيبة إن أول من بنى البيت الحرام آدم عليه السلام . وبعد آدم بنى أولاده في موضع الكعبة بيتاً من الطين والحجارة . ولما جاء الطوفان في زمن نوح عليه السلام نسفه وغفّى مكانه : «حتى ابتعث الله تعالى إبراهيم عليه السلام ، وحفر عن قواعده وبناه في ظل غمامة . فهو أول بيت وضع للناس» .

- ويقول : «أمر الله تعالى إبراهيم أن يبنى بيته ، فجاءت السكينة كأنها سحابة فيها رأس يتكلم ، له وجه كوجه الإنسان ، فقالت : يا إبراهيم ! خذ ظِلي فابن عليه . فَبَنى هو وإسماعيل البيت ، ولم يجعل له سقفاً . وحرس الله «آدم» و «البيت» بالملائكة يومئذ» . ثم قال إنه : ﴿ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ ﴾ (آل عمران:٩٦)[2].

- ومصدر هذا الخبر «وهب بن منبه» ، وهو من مسلمة بني إسرائيل ، الأمر الذي يُضعفه ، لكن القرآن الكريم يعطيه وثاقة فيما جاء عن ذكر عن إبراهيم وإسماعيل وبنائهما البيت ، دون سائر الخبر .

- فماذا يقول القمنى عن البيت الحرام والكعبة والحجر الأسود؟

هل يأخذ بآيات القرآن؟ وهل يعطى أخبار المؤرخين أي اعتبار؟؟ أم يُغفل الآيات القرآنية ويعاندها ويدير ظهره لكبار المؤرخين؟

الصورة الأرضية المزورة للبيت الحرام :

● إن الصورة المزورة لا تستند إلى ما جاء عنها في كتاب الله ؛ وهذا طبيعي ، لأن القمنى لا يؤمن بهذا الكتاب . ثم إنه لو أخذ بما جاء فيه فلن يكون التزوير ممكناً .

---

(١) الملل والنحل للشهرستاني ؛ ٧٧/٣ ، ٧٨ .

(٢) ابن قتيبة ؛ المعارف ؛ تحقيق دكتور ثروت عكاشة ؛ نشر الهيئة العامة للكتاب ؛ سنة ٢٠٠٢م ؛ ص ٥٥٩ .

- يقول القمنى : إن تعدد القبائل وتعدد الآلهة أدى إلى بناء بيوت عديدة - « بيوت حرام» ، «وقد اجتمع لبيت مكة من البيوت الحرام ما لم يجتمع لبيت آخر في أنحاء الجزيرة ، لأن مكة كانت ملتقى القوافل» . ويقول : « إن هذه البيوت كانت محرمة ، ولها أيامها الحرام ، لكن بيت مكة بالتحديد أخذ في التمايز لموقع مكة العظيم على طريق القوافل التجارية جميعًا»[1].

- فلا وحي ، ولا أوامر إلهية ، ولا إبراهيم ولا إسماعيل . فبيت مكة واحد من بيوت عديدة بناها الوثنيون لعبادة الأصنام ، ولم يتميز بيت مكة بشيء سماوي أو روحي ، بل بسبب موقعه على طريق القوافل التجارية !

- فالبيت الحرام بيت من الطين والحجارة بناه بشر من العرب الوثنيين ، فهو بناء بشرى أرضى لا صلة له بالسماء ولا بالأنبياء . وهذا هو التفسير المادي يطبقه القمنى على بناء البيت الحرام وعظمته .

- ويقول القمنى إن الحجر الأسود واحد من حجارة عديدة كانت تسقط من السماء ، وكانت كل كعبة إطاراً لحجر أسود : «وكذلك كانت الكعبة إطاراً لحجر أسود ، كما كانت باقي الكعبات تتسم بذات السمة ، فهي أطر لأحجار سود»[2].

- وهذه المزاعم نقلها القمنى عن المستشرقين اليهود والنصارى والملاحدة ، لكي يرسم الصورة الأرضية البشرية للبيت الحرام في مواجهة الصورة العلوية التي رسمها القرآن الكريم .

* * *

(١) الحزب الهاشمي ؛ ص ١١ .

(٢) المرجع السابق ؛ ص ١٢ .

المبحث الثاني

التشكيك في الإسلام

● في استهتار مشين يكذِّب القمنى أنبياء الله جميعاً ابتداءً من أبى الأنبياء سيدنا إبراهيم ﷺ ، ويمدد اتهاماته بالكذب لتنال الرعيل الإسلامي الأول وزمن الصحابة ﷺ .

- يقول القمنى إن الكذب كانت له مسوغاته : «من زمن الرعيل الإسلامي الأول وزمن الصحابة وأيام تدوين الأحاديث ، فهو الكذب المستحب بالضبط كالأحاديث النبوية المكذوبة لكنها المستحبة ، وأنها رغم كذبها فهي في سبيل الله ، وأن مثل هذا الكذب الشرعي ليس جديدًا ، فقد أسَّس له أبو ديانات المنطقة وأبو أنبيائها سلفاً عن خلف عندما كذب ثلاث كذبات تُوصف بأنها جميعًا (في الله) وذلك عندما ادَّعى السقم وعندما قال فعلها كبيرهم هذا ، وعندما قال لملك مصر عن سارة زوجته (هي أختي)» .[1]

● وأنا أبدأ بمناقشة اتهامه لأبى الأنبياء (ﷺ) ثم أعرض لاتهاماته للصحابة ﷺ بعد ذلك .

● فأقول :

- **أولاً** : إنه حسم الموقف من عقيدته ، فكلامه هنا يفيد بأنه لا يؤمن بالأنبياء والرسل ولا يعترف بصحة الكتب المنزلة عليهم ، دون استثناء فالكل سواء من إبراهيم إلى محمد ﷺ .

---

(١) السؤال الآخر ؛ ص ٩٥ ، ٩٦ .

وهو يعلم يقيناً أن هذه الاتهامات تتنافى مع عدد كبير من آيات القرآن الكريم التي تشهد للأنبياء بالنبوة والصدق وتتحدث عنهم بكل احترام وإجلال. فهو يناطح القرآن ويعاند آياته وينفي ما أثبتته. فلا حاجة لأحد لأن يشق عن صدره ليعرف عقيدته، لأنه عبر عن مكنونه بأوضح ما يكون التعبير.

● وأنا أبدأ ببعض الآيات القرآنية التي شهدت للأنبياء بالنبوة والصدق:

- قال تعالى: ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴾(مريم:٤١)

- وقال ﷻ: ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ مُوسَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴾ (مريم:٥١)

- وقال سبحانه: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَـٰرُونَ نَبِيًّا ﴾ (مريم:٥٣)

- وقال ﷻ: ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ إِسْمَـٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴾ (مريم:٥٤)

- وقال تعالى: ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ إِدْرِيسَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴾(مريم:٥٦)

- فصدق الأنبياء بديهية إسلامية بحيث يتحرج الباحث من محاولة توكيده. لكنني مضطر في مواجهة هذا المفترى الكذاب إلى ذلك، فأقف عند أضيق الحدود. والمسلمون يعلمون يقينًا أن الإيمان بصدق الأنبياء شرط لصحة إيمانهم بالإسلام. والله تعالى يقول في ذلك: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ (البقرة:٤)

● هذه الآيات تنسف اتهاماته الطائشة الوقحة للأنبياء بالكذب!

● والآن، ما حقيقة الكذبات الثلاث التي ألصقها بأبي الأنبياء ﷺ؟

- حقًا قال رسول الله ﷺ: «لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات».[1] ولكن لم تصدر عن النبي ﷺ أية إدانة أو لوم لإبراهيم لأن هذه الكذبات تعتبر فضائل

---

(١) ابن كثير؛ البداية والنهاية؛ ١/١٥٥.

بالمعايير الأخلاقية ، لأنها أدت إلى صيانة ثلاث قيم أعلى من قيمة المعرفة . وقد اعتبر فلاسفة الأخلاق أن مثل هذا الكذب واجب . ويُضرب المثل عادة بالطبيب الذي يسأله مريضه عن خطورة مرضه هل يقول الحقيقة ، أم يكذب عليه ، ويقول ـ مثلاً ـ عليك أن تنتظم في تناول الدواء ، ولا تفقد الأمل في الشفاء؟ إنه إذا قال الحقيقة فإنه يدمر الروح المعنوية للمريض ويزيده آلامًا ومرضًا ؛ وإذا كذب عليه فإنه سوف يقوي أمله في الشفاء ويرفع من روحه المعنوية . ومن ثمة وجب عليه أن يكذب . فهذا هو الكذب المحمود .

- هذا هو ما يقرره فلاسفة الأخلاق على اختلاف مذاهبهم باستثناء «عمانويل كانط» صاحب مذهب الواجب .

● هل كذب إبراهيم حقًا ؟

- وبوسعنا إزالة خاصية الكذب الذميم بتحليل مواقف سيدنا إبراهيم . فحين قال عن زوجته إنها أخته لم يكن كاذبًا لأنها أخته في الله حقًا . وحين قال لعبدة الأوثان : ﴿ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا ﴾ (الأنبياء:٦٣) . لم يكن يخبرهم بخبر كاذب ، ولا يُفضي إليهم بمعرفة زائفة ، بل أراد أن يضعهم أمام الحقيقة المخزية ، وهي عبادتهم للأوثان . وقد نجح في عمله : ﴿ فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ (الأنبياء:٦٤) أي اعترفوا بكفرهم . وأما قوله : ﴿ إِنِّى سَقِيمٌ ﴾ (الصافات:٨٩) ؛ فكان صادقاً لأن قومه أرادوا أن يصحبهم ليشهد عيدًا لهم ، وهو يعلم أنهم سيفعلون فيه منكرات ، فاعتذر لهم بأنه مريض ، وقد كانت تغشاه الحمى حقًا في تلك الساعة .[1] وحتى لو لم يكن مريضًا ، وادعى المرض ليتجنب الآثام والمعاصي ، فلا يعد ذلك كذباً ، بل ترفعًا فاضلاً .

- والآن جاء الدور على اتهاماته الخرقاء للرعيل الأول من الصحابة رضوان الله عليهم بالكذب . وهو يقلد بعض المستشرقين وبعض العلمانيين المصريين

---

(١) القرطبي ؛ تفسير الآية ٨٩ من سورة الصافات .

الغُلاة في عدائهم للإسلام . وقد أَلَّفتُ ردًّا على ذلك رسالة صغيرة نُشرت بعنوان : « كيف ولماذا التشكيك في السُّنة؟ » .[1]

- القمنى المراوغ :

● ويلتزم القمنى باعتقاده بتكذيب الأنبياء ، لكنه حين يواجه الجماهير المسلمة يلجأ إلى المراوغة والختل . ففي حوار تليفزيوني أجراه المذيع عماد الدين أديب ، وشارك فيه عن طريق الهاتف الدكتور أحمد كمال أبو المجد ، ظل القمنى يراوغ ويداور كي لا يعترف بأنه يكذِّب النبي محمدًا ﷺ والكتاب المُنَزَّل الذي جاء به ، مستغلاً جهل المذيع والمشاركين في الحوار بتكذيبه للأنبياء جميعًا . وضاق المذيع ذرعًا بمراوغاته ، وأراد أن يحسم الموقف الذي حرص القمني على أن يظل غامضًا ، فسأله السؤال التالي : « هل أنت مصدق أو غير مصدق؟ » يقصد التصديق بسماوية القرآن الكريم . لكن القمني راغ من السؤال وأجاب : « سيدي الكريم على أية حال هذه المنطقة أحاول دائماً أنأى بأصدقائي أن يسألوني فيها ! هذا أمر قلبي وعلاقة جوانية بالمقدس » ![2]

- وسكت المذيع ، لأنه لم يكن يعلم كما نعلم نحن الآن أن القمنى مكذب لجميع الأنبياء . ولذلك لسنا بحاجة لأن نسأله عن إيمانه بمحمد ﷺ وبالقرآن الكريم ، فقد كفانا مؤونة السؤال ، فلم نحتج للسؤال ولم نحاول أن نشق عن صدره ، بعد أن درسنا كلامه .

● والمسلمون يعلمون أن القرآن الكريم تحدى بُلغاء المشركين العرب الذين رفضوا الاعتراف بأنه كتاب منزل من عند الله ، وقال تعالى : ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (البقرة:٢٣) ولم يستطع أحد إلى يومنا هذا أن يأتي بسورة من مثله . ولم يستطع الشعراء والحكماء في عهد النبوة أن

---

(١) مكتبة وهبة بالقاهرة ؛ سنة ٢٠٠٧م

(٢) السؤال الآخر ؛ ص ١٤٧ .

يجمعوا الشذرات المتناثرة في شعرهم لكي يؤلفوا آية ، كما توهم القمني وأرادنا أن نصدق أن القرآن مجموعة من أقوال الشعراء الذين أسرف في النقل عنهم في كتابه : «الحزب الهاشمي وتأسيس الدولة الإسلامية» .

- وقد رصدت شركة أمريكية جائزة كبيرة لمن يؤلف آية مثل آيات القرآن ، فأسرع الملاحدة والمرتدون إلى الإسهام في تلك المسابقة . وكان نصيبهم الفشل الذريع ، والسخرية ، والاحتقار !

● وقد ألح قادة ثقيف على النبي ﷺ لكي يؤلف آية تضفى الحرمة على بلادهم . وتحدث القرآن عن تلك الحادثة فقال تعالى : ﴿ وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لَاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَا أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴾(الإسراء:٧٣-٧٥).

- إن ذلك تقوُّل على الله تعالى . وهو جريمة كبرى . وفى ذلك يقول الله تعالى : ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴾ (الحاقة:٤٤-٤٦) وتبديل آية مكان آية لا يمكن أن يتم إلا بأمر الله تعالى ، وهو ما يسمى النسخ ، لقوله تعالى : ﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا ﴾ (البقرة:١٠٦).

● فالقرآن الكريم وحى أنزله الله تعالى على رسوله محمد ﷺ . ولذلك كانت له قدسيته ، فلا يُضاف له حرف ولا يُنتقص منه حرف ، ولو من كلام الرسول نفسه .

- وقد شدد النبي ﷺ على كتبة الوحي ألاَّ يكتبوا شيئاً من كلامه الشريف مع القرآن . وحين لاحظ يوماً أن أحدهم كان يكتب بعض التفسير الذي قاله النبي سألهم مستنكراً : «ماذا تكتبون؟» فقلنا : ما نسمع منك ! فقال : أكتاب

مع كتاب الله؟ أمحضوا كتاب الله ! »[1] ولذلك كرهوا التعاشير والنقط . وكانوا يضايقون في الحروف ، فلا يتركون بينها فراغاً يسمح بإقحام أي حرف على نصوص القرآن ، وكانوا يمتنعون عن كتابة أسامي السور مع القرآن كيلا يختلط القرآن بغيره[2] .

- هذه أحوال أقوام آمنوا بأن القرآن وحي منزل من عند الله تعالى . أما المشركون العرب ، والعلمانيون الملاحدة الذين لا يؤمنون بأن القرآن كتاب منزل من عند الله ، فما أيسر أن يزعموا أنهم وجدوا فيه كلمة قالها شاعر أو جملة رددها حكيم ، ومن ثم يعتبرونه إفرازاً من ثقافة بلاد الحجاز ، وأن البعثة المحمدية رسالة بشرية أرضية لا صلة لها بالسماء . يقولون مثل هذا الكلام ، كما قال الجاهلون إنما يعلمه بشر . وماداموا قد كفروا بمحمد وكتابه فلا ينتظر منهم إلا القبائح والترّهات وسوء الأحدوثة .

هل شك بعض الصحابة في الإسلام ؟

- ومن تلك الترهات التي استخدمها القمنى للتشكيك في الإسلام زعمه أن بعض الصحابة رضوان الله عليهم قد شكوا مثله : « في الأمر برمته من الألف إلى الياء » . [3] وهذا التعبير الذي يفيد القطع والشمول ليس سوى نزق ، لا مجال له في العلم الموضوعي المحترم . والقمنى يستند إلى خبر يقول إن المقاتلين المسلمين الذين رابطوا على الصخرة يوم أُحُد - وسُمّوا أصحاب الصخرة - قد قالوا - حين شاع القول إن النبي ﷺ قد قُتل - ، قالوا : « لَيتَ لنا رسولاً إلى عبد الله بن أُبي (رأس المنافقين في المدينة) فيأخذ لنا منه أَمَنَةً من أبي سفيان (قائد المشركين يومئذ) ! يا قوم إن محمداً قد قُتِل فارجعوا إلى قومكم » . [4]

---

(١) الفتح الرباني ؛ مسند الإمام أحمد ؛ حديث رقم ٥٥ .

(٢) الإمام الغزالي ؛ المستصفى ؛ ص ١٢١ ، ١٢٢ .

(٣) السؤال الآخر ؛ ص ٢٤ .

(٤) المرجع السابق .

والخبر كما ترى يعبر عن انزعاج بعض المقاتلين الذين زُلزلوا زلزالاً شديداً تحت وقع الشائعة المروعة ، ففكر بعضهم في تأمين أنفسهم بواسطة عبد الله ابن سلول . وليس في الخبر كلمة واحدة تشير إلى أنهم شكوا في الإسلام «برمته» أو في أي جزئية من العقائد أو الشرائع الإسلامية !

والخبر مبتور لكي يؤدى للقمنى غرضه في التشكيك . وبقية الخبر يقول إن الصحابي الجليل «أنس بن النضر» كان واحداً من تلك المجموعة ، وأنه أنكر على من قال : «ليت لنا رسولاً إلى عبد الله ابن سلول .... إلخ) وقال : «يا قوم إن كان محمد قد قُتل فإن ربَّ محمد لم يُقتل ! فقاتِلوا على ما قاتل عليه محمد ﷺ ؛ اللهم إني أعتذر إليك مما يقول هؤلاء ، ! ثم شدّ بسيفه فقاتل حتى قُتل»[1] رضي الله عنه وأرضاه .

وهكذا نجد اليقين والشجاعة في موقف أنس بن النضر ، وكلماته تشهد بصحة إيمانه . وسلوكه يشهد بصدق يقينه في الإسلام «برمته» !

والخبر يكشف عورة القمني المُغرض المحرِّف المفتري ، ويجرده من رتبة الباحث وصفة العالِم ، ويعطيه شهادة عليا في التزوير والتلفيق والإسفاف !

المرأة في صورتها الإسلامية

● لا يزال القمنى يحاول إحداث أكبر قدر من التشويش والخلط والتضليل والتشكيك .

وقد توهم أنه وجد ضالته في نصوص القرآن والسنة التي تتحدث عن النساء ، فراح يكوِّم بعضها على بعض لتكثيف الغموض وتشويه الصورة الإسلامية الباهرة للمرأة .

● فهو يقلب الحقائق رأساً على عقب ، ونحن نعيدها بعون الله إلى وضعها السديد ، ونبين معانيها ومغازيها ومقاصدها النبيلة .

---

(١) ابن كثير ؛ البداية والنهاية ؛ ٤/٢٥ .

▪ والأصل في هذه القضية يقرر أن المرأة إنسان خلقه الله في أحسن تقويم مثل الذكر ، وذلك بقول الله تعالى : ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ (التين:٤) . ومن ثم تُفهم النصوص المختلفة في ضوء هذا الأصل القرآني العظيم .

فإذا قال النبي ﷺ إن المرأة خلقت من ضلع أعوج لم يكن من الجائز اعتبار قوله هذا انتقاصاً من إنسانيتها أو نفياً لما قرره الأصل القرآني عن حسن تقويم خلقتها . ولابد أن تظل طبيعتها الإنسانية في أحسن تقويم .

● وكيف نفهم حديث النبي ﷺ في ضوء الأصل؟

▪ على الرجال أن يتذكروا أن المرأة خلقت من طبيعة الرجل نفسه . والله تعالى يقول : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ﴾ (النساء:١) . فنحن جميعاً من نفس واحدة ، رجالاً ونساءً ، وطبيعتنا الإنسانية واحدة .

وإذا كانت المرأة قد خلقت من ضلع آدم الأعوج ، فإن آدم احتفظ ببقية الأضلاع العوج ، ومن ثم يجب أن يكون في طبيعته اعوجاج أكثر مما في طبيعة المرأة .

● والقرآن الكريم وصف الإنسان بأوصاف عديدة تثبت ذلك الاعوجاج ، ولم يخص المرأة دون الرجل بالنقص ، ولا خص الرجل دون المرأة به .

● قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴾ (المعارج:١٩)

● وقال ﷻ : ﴿ قُتِلَ ٱلْإِنسَـٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴾ (عبس:١٧)

● وقال ﷻ : ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ﴾ (العاديات:٦)

● وقال ﷻ : ﴿ خُلِقَ ٱلْإِنسَـٰنُ مِنْ عَجَلٍ ﴾ (الأنبياء:٣٧)

● وقال ﷻ : ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴾ (الزخرف:١٥)

● وفي هذه الصفات الذكر والأنثى سواء . وذكر القرآن الكريم صفات أخرى عديدة للإنسان ، الذكور والإناث فيها سواء .

● ثم جعل الفَلاَحَ مرهوناً بالإيمان وعمل الصالحات ، وقال ﷻ : ﴿ وَٱلْعَصْرِ ۝ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴾ (العصر: ١-٣).

● ويترجم عن هذه المساواة قول رسول الله ﷺ : «المسلمون تتكافأ دماؤهم ، ويسعى بذمتهم أدناهم ، وهم يد على من سواهم» . واستشهد الطبري به في القول : «الحر بالحر» الرجل بالمرأة ، «والمرأة بالرجل» . وقال عطاء : ليس بينهما فضل»[1] . فهذا هو الأصل القرآني في خلق الإنسان في أحسن تقويم يترجم عنه الحكم في القصاص .

● وقرر القرآن أن الذكر ليس كالأنثى وهذه حقيقة بيولوجية لا تنكر ، وقال : ﴿ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ﴾ (آل عمران:٣٦) فهما متمايزان ، وطبيعة الذكر غير طبيعة الأنثى ، من غير استعلاء أو انتقاص للطبيعة الإنسانية التي جعلها الله تعالى في أحسن تقويم . والاختلافات البيولوجية لا يمكن إنكارها بحال من الأحوال ؛ وهى أساس تمايز الذكورة من الأنوثة .

● وأعطى الإسلام قيادة الأسرة للرجل ، فقال تعالى : ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ﴾ (النساء:٣٤) ولكي تنجح القوامة في إدارة شئون الأسرة شدد الإسلام على احترام الزوجة لزوجها ، كما شدد على واجب قيام الزوج بواجبات عديدة ، فجعله المكلف بالإنفاق على الأسرة . قال تعالى : ﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ (البقرة:٢٣٣) فالقوامة تكليف لا تشريف .

---

(١) تفسير الطبري ؛ سورة البقرة ؛ الآية ١٧٨ ؛ الحديث رواه أحمد في المسند : ٦٧٩٧ من حديث عمرو بن شعيب ؛ ورواه أيضًا ابن ماجه ٢٦٨٥ .

- في ضوء هذا النظام الرباني العظيم يمكننا فهم الحديث الشريف القائل : «ولو كنت آمراً أحداً أن يسجد لغير الله لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها» . إنه توكيد لواجب الطاعة للزوج ، وليس فيه أية إهانة للمرأة ، ولا انتقاص لكرامتها ، كما أراد القمنى أن يفهمه قراؤه .

● وتقوم الحياة الزوجية على الشورى ابتداءً من فطام الرضيع . فيقول عز وجل : ﴿ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالاً عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ﴾ (البقرة:٢٣٣) .

- فالمرأة يجب أن تشارك الزوج في تسيير الحياة الأسرية ؛ وهى مسئولة عن رعاية أولادها ، وليست مجرد فرج بحسب التعبير الفج القبيح للقمنى ! ودورها في التربية لا يقل عن دور الرجل .

● وأما أنها شريكة إبليس في الغواية فخرافة توراتية ابتلعها القمنى دون وعى ! وفى القرآن الكريم أن الشيطان وسوس لهما ـ لآدم وزوجه . قال تعالى : ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا ﴾ (الأعراف:٢٠) وبعد أن طاوعاه وأكلا من الشجرة ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ (الأعراف:٢٣) وفى سورة طه يبدو آدم المسئول عن تلك المعصية ؛ فيقول الله تعالى : ﴿ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ۝ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴾ (طه:١٢١،١٢٢).

● فحواء في الصورة القرآنية ليست شيطان غواية ولا هي مركز للشر ولا رفيقة لإبليس ، كما قال القمنى في هذيانه ! [١]

● ولا شك أن خلوة المرأة بالرجل الأجنبي لابد أن تثير الرغبة في الإثم ، لكن ليس ذلك بسبب عجزها عن التحكم في شهواتها ، بل لأن الفطرة البدنية

---

(١) السؤال الآخر ؛ ص ١٩٣ .

لدى الرجل تجذبه إليها ، والفطرة البدنية لدى المرأة تجذبها إليه ، ولذلك نهى رسول الله ﷺ عن الخلوة كإجراء وقائي . لكن تحامل القمنى على شريعة الإسلام أعماه عن رؤية الحقيقة وعن تقدير النهى النبوي عن الخلوة ، فطاشت ألفاظه البذيئة في وصف أم البشرية الأولى عليها السلام .

- ويتحدث القمنى عن غواية المرأة حديثاً مضللاً خاطئاً . والحق أن الجاذبية الجنسية لدى المرأة والرجل صفة كمال في الخلقة ، وليست نقيصة تؤخذ عليهما . وغياب الرغبة عند الرجل والمرأة نقيصة ، لا ميزة يعتز بها الرجل أو فضيلة تفخر بها المرأة .

● ثم إنه يتكلم عن الخطيئة فيخلط خلطاً مشيناً ، فيزعم أن نساء الأنبياء اقترفن الخطيئة : «مثل امرأة نوح وامرأة لوط» . والحق أنه هو الذي اقترف خطيئة القذف في حق المرأتين ، فالخيانة التي ذكرها القرآن لم تكن خيانة فراش أو زنا ، بل خيانة كفر . فعن ابن عباس قال : «ما بغت امرأة نبي قط» . وهذا إجماع المفسرين : «إنما كانت خيانتهما في الدين . وكانتا مشركتين[1]. وهكذا نرى بشاعة التهور والنزق لدى هذا الكاتب العلماني . إنه يخوض في أعراض نساء الأنبياء دون إحساس بالإثم ، وذلك لأنه لا يؤمن بالأنبياء ، ولا يعرف قيمة العفاف والشرف .

● وللتضليل والتشكيك يصور الإسلام على أنه يحكم على المرأة بأنها ناقصة دين : «لأنها نجسة وطبيعتها النجس . . . »[2]

- وقد أخرج البخاري عن أبي سعيد الخدري أن : «رسول الله ﷺ خرج في أضحى - أو في فطر - إلى المصلى ، فمر على النساء فقال : يا معشر النساء تصدقن ، فإني أُريتكن أكثر أهل النار» . فقلن : وبم يا رسول الله؟» قال : «تكثرن اللعن ، وتكفرن العشير ، ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهبُ

---

(١) القرطبي ؛ الجامع ؛ الآية رقم ١٠ من سورة التحريم .

(٢) السؤال الآخر ؛ ص ١٨٣

للرجل الحازم من إحداكن» . قلن : وما نقصان ديننا وعقلنا يا رسول الله ؟ قال : «أليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل ؟» قلن : بلى . قال : «فذلك من نقصان عقلها . أليس إذا حاضت لم تُصلِّ ولم تصم؟» قلن : «بلى» . قال : «فذلك من نقصان دينها» .

● ونحن نلاحظ ما يلي :

- إن الخبر لا يقول إن النساء ناقصات دين لأنهن نجسات - كما يزعم القمنى - بل لأنهن لا يصلين في فترة الحيض .

- ونحن لا نستطيع أن نفسر هذا الخبر بما يتناقض مع آية ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ (التين:٤) وعلينا أن نجتهد لاجتناب ذلك التناقض .

- والمرأة لا تأثم بترك الصلاة في فترة الحيض ، لأنها مأمورة بذلك شرعاً . وامتثالها لأمر الشرع طاعة تثاب عليها . ولو أنها صلَّت لكانت آثمة . وقد أشار ابن حجر إلى هذه الحقيقة[1] .

- والحيض طبيعة وليس عملاً إراديًا . وقد قال رسول الله ﷺ : «هذا شيء كتبه الله على بنات آدم» . والشرع العادل لا يعاقب الإنسان على الأفعال الطبيعية التي لا إرادة له فيها .

- والمرأة عادة تتأذى من الحيض ولا تتمتع به .

- ثم إن الحيض لا يصاحب النساء من لحظة ميلاد إحداهن إلى وفاتها ، بل يصيبها في فترة معينة من حياتها ثم ينقطع نهائيًا ؛ فهل يكتمل دينها عندئذ؟ وهل يكون دينها كاملاً قبل أن تحيض؟

- **الشهادة :**

- قال تعالى في قضية اللعان : ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمْ فَشَهَـٰدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَـٰدَٰتٍ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ

(١) كتاب الحيض ؛ في فتح الباري؛٦- باب ترك الحائض الصوم، حديث رقم ٣٠٤-١/٤٠٥

ٱلصَّٰدِقِينَ ۝ وَٱلْخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝ وَيَدْرَؤُا۟ عَنْهَا ٱلْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝ وَٱلْخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ (النور:٦-٩)

- فالرجل يشهد أربع شهادات إنه لمن الصادقين ، والخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين .

- والمرأة مثله ، تشهد أربع شهادات إنه لمن الكاذبين ، والخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين .

- ولم يقل أحد أن شهادة المرأة في حالة اللعان نصف شهادة الرجل ، أو أنها تحتاج إلى امرأة أخرى لتشهد معها .

- إذن قاعدة رجل وامرأتان سارية في المسائل التجارية والمالية ، ولا يؤخذ بها في قضايا اللعان ، بل تتساوى شهادة الرجل والمرأة فيه ، على الرغم من خطورته البالغة وما يترتب عليه من فَصْم عُرى الزوجية ونفي الولد .

وتساوى الشهادتين في اللعان يثبت أهليتها الكاملة وأنها مثل الرجل في أحسن تقويم .

- وعبارة ﴿ فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ ﴾ (البقرة:٢٨٢) تشير إلى ملكة معينة هي الذاكرة ، وهي : « قدرة النفس على الاحتفاظ بالتجارب السابقة واستعادتها » .

- والعقل مجموعة من الملكات ، أهمها « ملكة الفهم » أو : إدراك الأشياء على حقيقتها . وهي تختلف عن الذاكرة اختلافاً بيناً . وقد ورد لفظ « تعقلون » كثيراً في القرآن الكريم ، بمعنى « تفهمون » أو « تدركون » .

- قال تعالى : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (يوسف:٢)
- وقال جل شأنه : ﴿ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (يوسف:١٠٩).

● وقال ﷻ : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ ۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمۡرِهِۦٓ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴾ (النحل: ١٢).

- وعلى هذا لا يجوز القول إن ضعف الذاكرة هو نقصان في العقل ؛ وقد يكون المرء ضعيف الذاكرة ، ولكنه حاد الفهم عظيم الإدراك . ومن ثَمَّ لم يكن من الممكن القول إن الأنثى ناقصة في عقلها لأنها ضعيفة الذاكرة .

● ومن الحقائق المعروفة : تفاوت الأفراد في قوة الذاكرة وقوة الفهم ، بحيث لا يمكن تعميم ضعف الذاكرة في الإناث جميعًا أو في الرجال جميعًا . وقد لوحظ تفوق الإناث في المواد العلمية التي تحتاج إلى الذاكرة ، وقد تفوقت البنات في الامتحانات الجامعية بمصر على الذكور .

● وإننا لا نستطيع القول إن النساء ناقصات عقل ودين بما فيهن مريم ابنة عمران ، وأمهات المؤمنين أزواج رسول الله ﷺ ، وبناته الفضليات الكريمات .

● وقد قال رسول الله ﷺ : « حسبك بمريم بنت عمران وامرأة فرعون وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد من نساء العالمين » . [1] فتحتم أن نفهم الحديث على أنه يدين بعض النساء اللاتي تحدث إليهن النبي عليه الصلاة والسلام .

* * *

(١) تفسير الطبري ؛ الآية ٤٢ من ال عمران .

مريم (بنت عمران) وامرأة فرعون (آسية بنت مزاحم):
مثالان للإيمان الصادق

● ولقد قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾ (آل عمران:٤٢،٤٣). فهذه السيدة لا يمكن أن تكون ناقصة عقل ودين ، بل هي إنسانة في أحسن تقويم ، ومثل أعلى في كمال الدين .

● وقال تعالى : ﴿ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴾ (التحريم:١٢) وهذه شهادة ربانية لمريم بالعفاف والطهر والإيمان . وقال رسول الله ﷺ : « مريم خير نساء أهل الجنة » .

● وقال تعالى : ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (التحريم:١١) . فهذه المرأة مَثَل للإيمان والشجاعة والثبات على الحق في مواجهة الطاغوت الفرعوني !

● هذه الآيات البينات تشهد لنساء كريمات بالفضل والسمو على سائر النساء ، وتضرب بهن المثل على الإيمان واليقين والشموخ . وهي تحطم تلك الصورة السوداء الخسيسة التي أراد القمنى أن يفرضها على جنس الإناث عامة . ولذلك تحدث عن خيانة نساء الأنبياء ، وزور عليهن تهمة الزنا ، ثم سكت عن المُثل العليا الوضاءة للنساء المؤمنات ، لكي يوهم القارئ بأن جنس النساء كله خائنات نجسات ، حتى أزواج الأنبياء !

● وقد أراد القمنى أن يثبت أن المرأة خائنة بطبيعتها ! ونسى قول رسول الله ﷺ :« كل ابن آدم خطاء » ، وأن الذكور والإناث معرضون للخيانة ، لا النساء من دون الرجال . فهذا هو الضلال المبين !

● صفوة القول إذًا: إن شهادة المرأة تساوى نصف شهادة الرجل في الديون، لكن شهادتها في اللعان تساوى شهادته.

- وهذا يعنى أن عقلها يساوى عقله. أو على الأصح ذاكرتها تساوى ذاكرته.

● هذه الحقائق يجب أن تحملنا على توكيد أن المرأة مثل الرجل «في أحسن تقويم» ومن ثمَّ يجب أن نسلم بأن عقلها مثل عقله. وبهذا نتحاشى التناقض بين الأصل القرآني والحديث الشريف.

- ولنا أن نقول إن النبي ﷺ أراد أن يؤدب تلك المجموعة المعينة من النساء ومن كن مثلهن بتحذيرهن من سوء معاملة الأزواج بكثرة اللعن والكفران بالعشير. ومن المستحيل أن نقبل القول إن جميع نساء المؤمنين كن يفعلن تلك السيئات، لأن الأغلبية من نساء المؤمنين كن فضليات قانتات. وقد قال رسول الله ﷺ: «خير نساء ركبن الإبل صوالح نساء قريش، أحنَاهُ على ولد في صغره، وأرعاهُ على زوج في ذات يده»[1]. فالتعميم هنا خطأ جسيم وإساءة فادحة لنساء هذه الأمة.

التشكيك في شريعة المواريث:

● والقمنى يريد تغيير الإسلام أو تطوير وإحلال العلمانية محله. ولذلك يزعم أن شريعة الميراث في الإسلام تغيرت عدة مرات في عهد النبوة المحمدية، ويقول: «أما مسألة المواريث فقد تغيرت حسب المتغيرات زمن الدعوة، زمن وجود وحياة الرسول ثلاث مرات: المرة الأولى «الإرث لذوى الأرحام دون تحديد... ثم نُسخت بآية الوصية، ثم نُسخت بـ ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ ﴾ (النساء: ١١).

- فلماذا لا يستمر التغيير بصفة دائمة إلى اليوم؟ لماذا لا تعطى للأنثى مثل حظ الذكر؟

---

(١) تفسير الطبري؛ تفسير الآية رقم ٤٢ من سورة آل عمران

- والقمنى يؤمن بأن تغير وسائل الإنتاج لابد أن يجلب تغيرات في كل شيء[1]. وعلى هذا يطالب بتجاوز شريعة المواريث القرآنية ، وذلك يتحقق بإحلال شريعة أخرى محلها ، لأن تغيرات واسعة جداً وقعت في مجالات الصناعة والإنتاج والتجارة ووسائل الإنتاج .

- ومعلوم أن آية ﴿ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ﴾(النساء:١١) هي آية محكمة ، ومن ثم لا يجوز تفسيرها على أي نحو آخر . وأما تجاوزها فجريمة كبيرة في الدين ، ولا يمكن أن يجرؤ عليها مسلم .

● ولقد كان العرب يتوارثون قبل الإسلام «بالحلف» ؛ وكان الرجل يقول للرجل : دَمِي دَمُك ، ومالي مالك ، تنصرني وأنصرك ترثني وأرثك ، فيتعاقدان الحلف بينهما على ذلك ، فيتوارثان به دون قرابة ، وذلك قول الله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ فَـَٔاتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ ﴾ (النساء:٣٣) ثم نُسخ ذلك ، وصار التوارث بالإسلام والهجرة . فإذا كان للرجل ولد ، ولم يهاجر ، ورثه المهاجرون دونه ، وذلك قوله ﷻ : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يُهَاجِرُوا۟ مَا لَكُم مِّن وَلَـٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟ ﴾ (الأنفال:٧٢) ثم نسخ ذلك بقوله تعالى : ﴿ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ ﴾ (الأنفال:٧٥) [2] وكان الجاهليون يعطون المقاتلين فقط ، ولذلك استنكفوا قواعد الميراث القرآنية التي تعطى المرأة والصبي [3]

- ومن الطبيعي أن يُلغى الإسلام نظام التوارث الجاهلي . ثم كانت الأمة المسلمة الصغيرة المضطهدة لا تستطيع أن تعيش في مكة تحت إمرة المشركين عيشة طبيعية فاضطرت إلى الهجرة فراراً بدينها . وكان من المحتم المآخاة بين المهاجرين والأنصار ، وما صحب ذلك من تضحيات جسام لتمكين المهاجرين من بدء حياة جديدة في يثرب ، وإقرار نظام الميراث يحفظ عليهم

---

(١) حروب دولة الرسول ؛ ص ١٠-١٥ .

(٢) ابن قدامة ؛ المغني ؛ ٢٣٠/١ ، ٢٣١ ـ نشر مكتبة الجمهورية العربية .

(٣) تفسير الطبري ؛ تفسير الآية رقم ١١ من سورة النساء .

أموالهم . وكان كل شيء في تلك الفترة استثنائيًا ومؤقتاً إلى أن استقر القوم في الحياة الجديدة ، فاعتمدت القاعدة الأساسية التي ارتضاها الله ، وهي قاعدة التوارث على أساس ﴿ وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ ﴾ (الأنفال:٧٥) وهو الأساس المعروف العادل والمنطقي ، لأن الأسرة كيان واحد وثروتها ملك لجميع الأفراد ، لأنهم يشاركون ـ غالباً ـ في تكوينها وتنميتها . ونَظَّم الإسلام شرائع الميراث بما يحقق العدالة ، وما يراعى المسئوليات المالية للذكور والإناث في الحياة الاجتماعية .

- ولابد أن نذكر أن المسيحيين المصريين اختاروا النظام الإسلامي وفضلوه على النظام البريطاني الذي كان يعطى التركة كلها للابن الأكبر ، والذي غيره البريطانيون فيما بعد لافتقاره للعدالة .

- لكن القمنى يتظاهر بغيرته على النساء فيطالب بتجاوز الآية القرآنية المحكمة ، ويتناسى النظام الأسرى في الإسلام حيث تعفى البنت من الإنفاق على نفسها ، ويكلف أباها بذلك . وليس عليها تبعات مالية عند زواجها ، فالرجل يتكفل بالصداق وبتأثيث بيت الزوجية والإنفاق على الزوجة والأولاد . فهذا نظام كامل يختلف عن النظم الأوروبية والأمريكية ، ويمتاز عليها بما له من أسس دينية راسخة ، وبقدرته على تشكيل مجتمعات مستقرة يسعد فيها الأزواج والزوجات والأولاد جميعاً .

- ولكي يسوِّغ القمنى مطالبته بتجاوز النصوص القرآنية والحديثية وتحقيق التغييرات التي يشتهيها ، يشير إلى النسخ (المعروف في أصول الفقه) كوسيلة للتغيير . لكنه يجهل القواعد التي جرى النسخ على أساسها .

- وأول ذلك أن لا نَسْخَ بعد رسول الله ﷺ . فالنسخ : رفع الشارع حكماً منه متقدماً بحكم منه متأخرا»[1]. ومثاله قول النبي ﷺ : « كنت نهيتكم عن

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ؛ ١/٣٥ .

زيارة القبور ، فزوروها»[1]. والآن ، من ذا الذي يرفع حكما شرعيًا ويحل محله حكماً آخر؟ !

– ونَسْخُ آية قرآنية لا يجوز إلا بآية قرآنية . واستشهد علماء الأصول على صحة هذا المبدأ بقول الله تعالى : ﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ (يونس:١٥)[2].

– وما نسخه القرآن صنف معين من الأحكام التي تختلف باختلاف الزمان والمكان والعصر ، أما ماله صفة العموم من الفضائل وما يشتق من الفطرة الإنسانية فإنه غير قابل للنسخ كالعقائد ، لأنه شريعة الإنسانية الأبدية ؛ ولذا قال تعالى : ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ﴾ (الشورى:١٣) [3].

● إذن لا مجال للنسخ الآن بعد وفاة الرسول ﷺ . والتغيير له مداخل أخرى من خلال ما لا نص فيه ومن خلال النصوص التي تقبل التفسير على أكثر من نحو . والظاهر أن القمنى يجهل ذلك أو يتجاهله بُغية الترويج للشكوك في الشريعة الإسلامية[4].

شك الإمام الغزالي وشك القمنى :

● إن القمنى شاك في الإسلام ويسعى إلى التشكيك فيه . وهو يتوهم أن شكه مثل شك الإمام الغزالي رحمه الله . فإذا لم يؤخذ على الإمام شكه ، وجب

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ؛ ٣٥/١ .

(٢) أبو حامد الغزالي ؛ المستصفى ؛ ص ١٤٩

(٣) أصول الفقه ؛ ص ١٧٤ – الفقرة رقم ١٨٩

(٤) تفصيل القضية في كتابي «هل يمكن تطوير الإسلام» ؛ مكتبة وهبة ؛ سنة ١٤٣١ هـ – ٢٠١٠م .

ألاّ يؤخذ عليه شكه أيضاً . وهو يتوهم أنه بهذه المغالطة الفجة يقنع القارئ بأنه مظلوم من قِبل نقاده الذين طالبوا بمحاكمته ولم يطالبوا بمحاكمة الإمام الغزالي !

– ومعلوم أن الإمام الغزالي كان يبحث عن اليقين ، وقد ضاق ذرعاً بالشك أو عدم اليقين . فالمحسوسات ليست يقينية . فالمرء ينظر إلى الكوكب فيراه صغيراً ، لكن الأدلة الهندسية تثبت أنه أكبر من الأرض . والعقليات ليست يقينية ، فأنت ترى أشياء عديدة في المنام ثم لا تلبث أن تستيقظ فلا تجد منها شيئاً ! فبم نأمن أن يكون ما ندركه في اليقظة إذا تغير حالنا إلى حالة نكتشف فيها أن ما ندركه بالحواس والعقليات خيال ! ويقول الإمام : « فأُعضل هذا الداء ، ودام قريباً من شهرين أنا فيهما على مذهب السفسطة بحكم الحال لا بحكم المنطق والمَقال ، حتى شَفَى اللهُ تعالى من ذلك المرض ، وعادت النفس إلى الصحة والاعتدال ، ورجعت الضروريات العقلية مقبولة موثوقاً بها على أمن ويقين » . وكان الشفاء بنور قذفه الله في صدره[١] .

– فلم يكن هدف الإمام تشكيك المسلمين في دينهم أو في نبيهم وقرآنهم ، ولذلك لم ينطق بكلمة تثير الشكوك ، وكتم حالة السفسطة التي انتهى إليها لمدة شهرين . ثم لما عاد اليقين إلى عقله وقلبه أفضى إلى تلاميذه بالحقيقة .

● وهذا هو ما يسمى بالشك المنهجي الذي يتخذ وسيلة لتحصيل اليقين . أما القمنى فقد ملأ الدنيا صراخاً بشكوكه الهشة المبتذلة ، ورفض التقدم خطوة واحدة نحو اليقين !

● واشتهر في نهاية القرن الخامس عشر والقرن السادس عشر (١٥٩٦-١٦٥٠م) الفيلسوف الفرنسي الكبير رينيه ديكارت الذي اتخذ من الشك المنهجي أداة لبلوغ اليقين ؛ وهو منهج الإمام الغزالي في جوهره .

---

(١) أبو حامد الغزالي ؛ المنقذ من الضلال ؛ نشر مكتبة الجندي ؛ القاهرة ؛ تحقيق الشيخ محمد مصطفى أبو العلا ؛ دون تاريخ ، ص ٣٠ ، ٣١ .

- فقد أزعجه اختلاف الفلاسفة وعجزهم عن حل المسائل التي أخذوا أنفسهم بحلها .

- شك ديكارت في كل معرفة وقال : « ولكنى مهما شككت . . . فستبقى لي حقيقة واحدة . . . وهى أن هناك ذاتاً تشك ! ، والشك ضرب من التفكير ، فما دمت أفكر فأنا موجود (Je pense donc je suis).[1]« بدأ ديكارت بتكذيب عقله في كل ما يجيء به ، وانتهى بتصديق عقله في كل ما يصل إليه ، على شرط أن تكون الفكرة التي يصل إليها العقل جلية واضحة »[2].

● وشتان بين الغزالي وديكارت وبين القمنى وأمثاله . فكلاهما فلسفة وفكر عميق ؛ وكلامه تهريج هدفه التشكيك والتشكيك فقط ، والترويج لذلك والتكسب به لدى أعداء الإسلام من العلمانيين ، وقد بلغ مأربه ونال جائزة الدولة التقديرية من أيدي الزمرة العلمانية التي تدير وزارة الثقافة المصرية !

- ويكذب القمنى على الإمام الغزالي ويتقول عليه وينسب إليه ما هو منه براء ، وقد علمنا ما حدث للغزالي كما شرحه الإمام بنفسه ، فلم نجد في كلامه أنه شك في حقائق الدين : « حتى وصل به المدى إلى التشكيك في وجود الذات الإلهية ذاتها » كما يدعى القمنى[3]. وغرض القمنى بهذا أن يسوِّغ لنفسه الشك : « في كل أمر من أمور الدين »[4].

هل شك عمر ﷺ في الإسلام :

● وهو يستند إلى موقف المسلمين يوم الحديبية ، بعد تزويره ، فيصور اعتراض عمر بن الخطاب على شروط الهدنة التي قبلها النبي ، يصوره على أنه « شك في الأمر كله »[5]. يا للهول ! !

---

(١) أحمد أمين وزكي نجيب محمود ؛ قصة الفلسفة الحديثة ؛ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ؛ سنة ١٣٥٥ هـ - ١٩٣٦ م . ص ٩٨ ، ٩٩ .
(٢) المرجع السابق ؛ ص ١٠٤ .
(٣) السؤال الآخر ؛ ص ٢١ .
(٤) المرجع السابق
(٥) السؤال الآخر ؛ ص ٢٣ .

● ولم يكن الاعتراض شكًا في أي أمر ، لا في العقيدة ولا في الشريعة ، وإنما كان غضباً من الشروط المجحفة التي تضمنها الاتفاق ؛ وسرعان ما عاد عمر إلى الرضا والقبول بما قبله النبي ﷺ . ولم يلبث عمر ـ الذي ثار على تلك الشروط ، دون جميع القوم ، (بعد حواره مع أبى بكر الصديق) أن انضم إلى الجماعة . ولو كان هناك شك «في الأمر كله» كما زعم القمنى لانفرط عقد المسلمين وذهب كل فريق في طريق ، بل ربما اقتتلوا فيما بينهم ، وانهارت أسس الدولة المسلمة الناشئة ، وارتد كثيرون إلى الوثنية !

- لم يحدث شيء من هذا مطلقاً ، وعادت الجماعة المسلمة متحدة قوية ، ملتفة حول نبيها الكريم ﷺ .

- قال عمر ﷺ للنبي ﷺ معرباً عن عدم رضاه عن الهدنة : علام نعطى الدنية في ديننا؟ قال النبي ﷺ : «أنا عبد الله ورسوله ، لن أخالف أمره ، ولن يضيعني ! » فكان عمر يقول : «مازلت أتصدق وأصوم وأصلى وأعتق ، من الذي صنعت يومئذ ! مخافة كلامي الذي تكلمت به ، حتى رجوت أن يكون خيراً»[1].

● إذن ، كان قرار النبي بوحي من عند الله . وقد كان فى مصلحة المسلمين ، ووصف الله تعالى ما حدث بأنه فتح مبين في قوله تعالى : ﴿ **إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا** ﴾ (الفتح:١) . وأثبتت الأحداث بعد ذلك أنه كان فتحاً مبيناً على المسلمين .

التشكيك وسيلة والهدف هو العلمنة :

- وفى نهاية هذا المبحث يمكن القول إن القمنى يصطنع التشكيك لهدم الإسلام وإزالته لتمهيد التربة لتأسيس العلمنة . وهو يصرح بذلك ويقول إن هدفه :« أن نحقق العلمنة على الساحة الثقافية على الأقل ، وهو أدنى المطالب . ساعتها يمكن القول إن هناك أملاً في أننا سوف نكون»[2]. كأننا اليوم أموات ، والعلمنة هي التي سوف تحيينا !

---

(١) سيرة ابن هشام ؛ ٣/٣١٧ .

(٢) السؤال الآخر ؛ ص ١٧

- وفى موضع آخر يقول القمنى إن إصلاح شئون مصر لا يتحقق إلا بالعلمانية : «وهو إصلاح ممكن وسهل لو خلصت الضمائر لمعاني الدولة المدنية الديموقراطية الليبرالية المعلمنة»[1].

● ومعلوم أن العلمانية تستبعد كل كتاب سماوي وكل تراث نبوي ، وترى أن الإنسان ليس في حاجة إلى السماء في فكره وفى تنظيم حياته . ولذلك هي تقف ضد التعاليم الدينية التي تنظم حياة الإنسان الفرد والمجتمع ، ولا تلقى بالاً للتشريعات والأخلاقيات التي تناقض مبادئ الدين ، كما هو الحال في الدول الغربية .

- فالدعوة إلى العلمنة هي دعوة مضادة للإسلام لأنها تقود الناس إلى الخروج منه ونبذه كليًّا . ولذلك أخذ على عاتقه التشكيك في الإسلام وتكذيب الأنبياء ليمهد لها .

- وهو يعلن صراحة أنه يرفض بل ويقاوم قيام دولة إسلامية .

● ولولا ضمان الدولة المصرية له لما جرؤ على هذا التصريح فالدولة مثله تعلن ليل نهار أنها ضد قيام دولة دينية . ولكن الشعب المصري شعب مسلم ويرفض العلمنة .

● وفى موضع آخر يقول إنه لا خلاص من الدولة الدينية : « إلا بسعي حقيقي دائب لا يفتر ولا يكل من أجل إقامة دولة مدنية مؤسساتية حقًا وصدقاً ، وقبل ذلك مَدْيَنَةُ العقل المصري وعلمنته وتعليمه معاني الحريات وتدريبه عليها ... »[2]

● وتكذيب الأنبياء والتشكيك في الإسلام هما المنهج الذي اتبعه القمنى لبلوغ أهدافه .

* * *

---

(١) السؤال الآخر ؛ ص ٢٢٠ .

(٢) المرجع السابق ؛ ص ٢٢٧

المبحث الثالث

الاستهانة بالقرآن والسنة

رفض النصوص القرآنية :

● في أي موضوع أثاره القمنى في كتاباته ، سنجده يرفض نصوص القرآن والسنة في نزق مشين . ولقد رأينا من قبل كيف يتهم الأنبياء جميعًا بالكذب ، وتبعاً لذلك لا يعطى للنصوص الدينية من القرآن والسنة أي اعتبار أو تقدير ، بل ينفى ما تثبته الآيات والأحاديث ويثبت ما تنفيه !

– وهذه المواقف الرافضة ترجع إلى أنه يرى ، كما رأى المشركون العرب ، وكما زعم أعداء الإسلام من المستشرقين اليهود والنصارى ، أن القرآن من تأليف محمد بن عبد الله ، وليس وحيًا منزلاً من عند الله . وقد برزت هذه الحقيقة فيما سبق من مسائل . وأخطر ادعاءاته اتهام سيدنا إبراهيم وجميع الأنبياء بالكذب !

● وها هنا براهين إضافية على رفضه الإيمان بأن القرآن تنزيل من عند الله تعالى .

– يقول القمني إن النصوص القرآنية والأحاديث النبوية إنما هي إفرازات لظروف بلاد الحجاز : « انقضى على زمنها وظروفها التي أفرزتها ما يزيد على أربعة عشر قرناً من الزمان »[1].

● ولذلك يقرر أن مصالح البلاد هي سبيل الرشاد للأحكام والقرارات : « حتى لو خالفت تلك الأحكام والقرارات العقلية الإنسانية نصوصًا إلهية »[2].

---

(١) السؤال الآخر ؛ ص ٥٩ .

(٢) المرجع السابق ؛ ص ٧٠ ، ٧١ ، ٧٢

- وهذه هي البراجماتية الأمريكية المادية الملحدة التي تقول إن المصالح فوق كل المبادئ والقيم .

● وفي المعايير الإسلامية يعتبر كلامه نبذًا للقرآن الكريم والسنة النبوية وإهدارًا لنصوصهما المقدسة .

● ونصوص القرآن والسنة ليست ضد المصالح البشرية كما يتوهم القمني . وقد عالج علماء الأصول مسألة المصالح وصنفوها إلى : مصالح معتبرة ، كالزواج مثلاً ، والشريعة تأمر بصيانتها وتنظمها ؛ ومصالح ملغاة ، كالزنا ، والشريعة تحرمها ؛ ومصالح مرسلة لم تعتبرها النصوص ولم تلغها ، بل تركتها للناس ينظمونها باجتهاداتهم ، كما ينظمون المرور والري والعلاج الطبي اليوم .

- والقمني لا يتكلم عن مصالح العباد والبلاد كلام العالم الرصين ، ولكنه يلقي القول على عواهنه ، بغية إثارة الشكوك في الدين ، وتنفير الناس منه توطئة لقبول العلمانية الدنيوية .

● وينطلق القمنى من فكرة العالمية ليصل إلى نبذ النصوص القرآنية والحديثية . فهو يقول : « ومعنى الخروج إلى العالمية ـ يقصد خروج الإسلام ـ أن الرسالة بتشريعها وجوهرها وفلسفتها مستمرة عبر الزمان والمكان ، إذن هي قابلة للتطور ، ويجب أن تكون قابلة للتطور والتغيير عبر الزمان والمكان وتلائم المتغيرات التي تحدث في الأزمنة المختلفة والأمكنة المتغيرة . »[1]

- فهو يرى أن الإسلام أشبه بكتلة من الصلصال يمكن تشكيلها على حسب ما يستجد من أفكار وتطورات . إنه سوفسطائي عاجز عن معرفة الحقائق المطلقة والثوابت الخالدة التي لا تتغير ولا تتبدل ، والتي أكدتها الفلسفة الحديثة والمعاصرة ، كما أكدها الإسلام .

---

(١) السؤال الآخر ؛ ص ١١٣ .

- والمتغيرات - وهى كثيرة طبقًا للشريعة الإسلامية - هي التي تلبِّي حاجة الناس للتطوير والتحسين . وأهم مجالاتها المصالح المرسلة التي أشرنا إليها منذ قليل . وقد صدر لي كتاب بعنوان : «هل يمكن تطوير الإسلام؟» عالجت فيه هذه المسألة ، فليرجع إليه من يريد المزيد من التفاصيل .[1]

● متى يُكفّر المسلم ؟

● ولقد قاده الضيق بنصوص الكتاب والسنة إلى المطالبة بإباحة إنكار المعلوم من الدين بالضرورة . ومعلوم أن مثل هذا الإنكار حكمه في الشريعة الكفر .

● وقال الإمام النووي ، شارح صحيح مسلم ، رحمه الله : «واعلم أن مذهب أهل الحق أنه لا يُكفَّر أحد من أهل القبلة بذنب ، ولا يُكفَّر أهل الأهواء والبدع ، وأن من جحد ما يُعلم من دين الإسلام ضرورةً حُكِمَ بردته وكفره ، إلا أن يكون قريب عهد بالإسلام ، أو نشأ ببادية بعيدة ، ونحوه ممن يخفى عليه ، فيُعرَّفُ ذلك . فإن استمر حُكِمَ بكفره . وكذا حُكْم من استحل الزنا أو الخمر أو القتل أو غير ذلك من المحرمات التي يُعلم تحريمها ضرورةً»[2] .

- فيريد القمنى أن يُستباح دين الله ويُنكر العلمانيون أصوله الثابتة ثبوتًا ضروريًا دون حرج أو نكير .

● العبرة بعموم النص :

● ويرفض القمنى القاعدة الأصولية التي تقرر أن : العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب . وهدفه من وراء ذلك تضييق نطاق الأحكام الشرعية . وهو لا يراجع أي مصدر في علم الأصول لكي يفهم المسألة ويكتب فيها كلاماً معقولاً ؛ إنه لا يدرس ولا يحاول أن يفهم ، ومن ثَمَّ يخبط خبط عشواء في مجال علمي مُحكم القواعد هو علم أصول الفقه .

- فماذا نجد إذا نحن راجعنا بعض مصادر علم أصول الفقه ؟

---

(١) صدر عن مكتبة وهبة ، سنة ٢٠١٠م .

(٢) صحيح مسلم : الشرح ١/ ١٥٠ .

– نجد أن :

● « من المقررات الفقهية أن سبب النص العام لا يُعد مُخصِصًا له » . ويقول الأصوليون : « العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب » . لأن الحُجّية في النصوص لا في أسبابها ، ولا في بواعثها . وقد تكون أسباب النزول طريقًا لتفسيرها ، ولكنها لا تصلح طريقًا لتخصيصها »[1].

● وقد سُئل النبي ﷺ عن جِلد شاة مُعينة فقال ﷺ : « أيما إهاب (جلد) دُبغ فقد طهر » . فعموم اللفظ هو المعتبر ، لا خصوص السبب[2]. وسأل سائل النبي ﷺ عن الأُضحية بجذعة من المعز فقال ﷺ : « تُجزيك » . فخصوص السبب هنا لا ينفي عموم الحكم ، أي أن كل رجل في مثل حال ذلك السائل تُجزئه جذعة من المعز[3].

– ومعلوم أن الصحابة وأهل اللغة : « أجروا ألفاظ الكتاب والسنة على العموم ، إلا ما دل الدليل على تخصيصه ، وإنهم كانوا يطلبون دليل الخصوص ، لا دليل العموم فعملوا بقول الله تعالى : ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ ﴾ (النساء:١١) واستدلوا به على إرث فاطمة رضي الله عنها حتى نَقلَ أبو بكر رضي الله عنه عن النبي ﷺ : « نحن معاشر الأنبياء لا نورث » . وقوله تعالى : ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي ﴾ (النور:٢) وقوله : ﴿ وَمَن قُتِلَ مَظۡلُومٗا ﴾ (الإسراء:٣٣) ﴿ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ ﴾(البقرة:٢٧٨) وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ ﴾ (النساء:٢٩) وقوله تعالى : ﴿ لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ وَأَنتُمۡ حُرُمٞ ﴾ (المائدة:٩٥). وقول النبي « لا وصية لوارث » ؛ « ولا تُنكَح المرأة على عمتها وخالتها » . « ومن ألقى سلاحه فهو آمن » . « ولا يرث القاتل » ؛ « ولا يُقتل والد بولده ».[4] وقد أُخِذ بعموم اللفظ في كل هذه الأحكام ، وغيرها كثير .

---

(١) محمد أبو زهرة ؛ أصول الفقه ؛ نشر دار الفكر العربي بالقاهرة ؛ ص ١٥٣ .

(٢،٣) المرجع السابق ؛ ص ١٥٤ .

(٤) الإمام الغزالي ؛ المستصفى من علم الأصول ؛ نشر مكتبة الجندي بالقاهرة ؛ تحقيق الشيخ محمد مصطفى أبو العلا : ص ٣٢٥ ، ٣٢٦ .

«وأجمعت المعتزلة القائلون بالوعيد أن الأخبار إذا جاءت من عد الله ومخرجها عام كقوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴾ (الانفطار:١٤). وقوله : ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾ (الزلزلة:٧،٨). فليس بجائز إلا أن تكون عامة في جميع أهل الصِّفة الذين جاء فيهم الخبر من مُستحِلِّيهم ومحرميهم»[1]. وبهذا تتسع مظلة الشريعة الإلهية .

● وهكذا نتبين مدى الجهالة في دعاوى القمنى الزائفة .

- رفض عشرات الآيات بإنكار المعجزات !

● وفي اندفاعه إلى تحكيم العقل في القرآن والسنة ، أنكر المعجزات ، وقال إنه : «لا يتصور ممكنات كسر قوانين الطبيعة الثابتة لأحل عيون أمة مترهلة»[2]. فأضاف البذاءة إلى رفض ما جاء في الكتاب والسنة من المعجزات العديدة لأنبياء الله صلوات الله عليهم .

- وهذا الإنكار يشمل : الإسراء والمعراج ، ومعجزات موسى وعيسى المُثبتة فى القرآن الكريم .

- فهذا دليل إضافي يؤكد أنه رافض للقرآن منكر لما جاء فيه .

● ويؤمن القمنى بأن الطير الأبابيل كانت مرض الجدري ، لكي يُزيل عن تلك الحادثة المهولة الخاصية الإعجازية ويخسفها إلى حادث أرضى عارض لا صلة له بعناية الله تعالى ببيت الله الحرام . وهذا هو ما يتفق مع إنكاره للنصوص والمعجزات وللعناية الإلهية .

- لقد قال الله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۝ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ۝ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍۭ ﴾ (الفيل:١-٥) وآمن بذلك المؤمنون ، وأنكره الكافرون والمنافقون والعلمانيون ، وزعموا أنه الجدري والحصبة !

---

(١) أبو الحسن الأشعري : مقالات الإسلاميين : ٣٣٦/١ .

(٢) الحزب الهاشمي : ص ٣ .

● قال عكرمة : « كانت ترميهم بحجارة معها فإذا أصاب أحدهم حجر منها خرج به الجدري الذي لم يُرى من قبل ذلك اليوم . . . وقال ابن عباس : « كان الحجر إذا وقع على أحدهم نَفِط جلده فكان ذلك أول الجدري »[1].

- فلم يقل أحدهم إنه أصابهم الجدري دون قذفهم بحجارة من سجيل . بل قالوا بما جاء في القرآن ، ثم أضافوا أن الحجارة تسببت في إصابة جنود أصحاب الفيل بالجدري . لكن المكذبين للقرآن زعموا أنهم أصيبوا بالجدري والحصبة ، وأنكروا الطير الأبابيل والحجارة التي من سجيل . وهذا ما ذهب إليه صاحبنا القمنى !

- وقال ابن هشام إن الله تعالى : « أرسل عليهم طيراً من البحر أمثال الخطاطيف والبَلَسَان ، مع كل طائر ثلاثة أحجار يحملها : حجر في منقاره ، وحجران في رجليه ، أمثال الحمص والعدس ، لا تصيب أحداً منهم إلا هلك . وليس كلهم أصابت »[2].

- وأورد ابن هشام خبراً يقول إن : « أول ما رؤيت الحصبة والجدري بأرض العرب ذلك العام » . فهو لم ينكر الطير الأبابيل ولا ما فعلته بجنود أبرهة ، لكنه بيّن أن الحصبة والجدري ظهرا لأول مرة في ذلك العام بأرض العرب .

- التطاول على الذات الإلهية ورفض آيات الوعد بالثواب

● ويبلغ الفجور أقصاه عند القمنى حين يقول : « إن الشعب ـ لا أدري أي شعب يقصد؟ ـ كان يرفض الأوضاع الخاطئة في المجتمع ، كما يرفض في ذات الوقت الرشوة المقدسة بالحور العين والخمور في عالم الأبدية »[3].

- فهو يسمي وعود الله بالثواب بأنها رشوة مقدسة ! ! !

---

(١) القرطبي ؛ الجامع ؛ تفسير سورة الفيل ؛ ٧٢٨٨/٨ .

(٢) السيرة النبوية ؛ ٥٣/١ .

(٣) السؤال الآخر ؛ ص ١٢ .

● وفي اعتقادي أنه يجب أن يُحاكم على هذا التطاول على الذات الإلهية والسخرية المُسفَّة بآيات القرآن الكريم . ويجب سحب جائزة الدولة التقديرية التي مُنحت له ، ومعاقبة المسئولين عن منحه إياها . لكن شيئاً من هذا لن يحدث لأن الدولة تشاطره آراءه ، أو لنفل وزارة الثقافة المصرية على أقل تقدير .

تزوير نص على النبي ﷺ في الاستعانة بغير المسلمين في الحرب

- ويلجأ القمنى إلى التزوير على رسول الله ﷺ ليجد مدخلاً للتشكيك والتضليل وتصوير الإسلام كدين منغلق لا يقبل التعاون مع اليهود أو النصارى ؛ جريًا وراء الطبل والزمر الصارخ في الإعلام العلماني اليوم .

● فقد نسَبَ للنبي ﷺ قوله يوم «أُحُد» لصحابي سأله قائلاً : «ألا نستعين بحلفائنا من يهود؟» فقال : «نحن لا نستعين بأهل الشرك على أهل الكفر»[1] .

- ومن صيغة سؤال الصحابي نرى أن اليهود في ذلك الوقت كانوا حلفاء للمسلمين . هذا أولاً . ثم إن الخبر الذي أورده ابن هشام في السيرة يقول إن : الأنصار يوم «أُحُد» قالوا لرسول الله ﷺ : يا رسول الله ! ألاَ نستعين بحلفائنا من يهود؟ فقال : «لا حاجة لنا بهم» . وهى الإجابة المناسبة للسؤال ، ولواقع الحال ، ولطبيعة العلاقة التي كانت تربط المسلمين باليهود في المدينة . وكان الحلف المعقود بين الفريقين يتيح لكل طرف الاستعانة بالآخر في مثل الحالة يوم «أُحُد» .

● فالقمنى يرفض الحديث الصحيح ويزيف كلامًا من عنده ويعتبره حديثاً! وهذا هو منتهى الاستهانة بالسنة النبوية !

● إن القرآن الكريم يأمر المسلمين بأن يعدوا لقتال عدوهم أقصى ما يمكنهم من القوة : ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾ (الأنفال: ٦٠) . وقد أعد النبي عليه السلام كل قوة مستطاعة ، واستعان بأهل الكتاب ، وبالمشركين ،

---

(١) السؤال الآخر ؛ ص ٩٧ .

وبالمنافقين ، في غزواته ، وإن كان قد رفض أن يغزو معه رجل مشرك في حالة معينة . وذلك المسلك النبوي الشريف يشير إلى أن المشركين مختلفون من حيث عدائهم للإسلام ، واستعدادهم للدخول فيه ، ومدى الإسهام الذي يمكن أن يقدموه في القتال ، وحاجة القتال نفسه لمشاركتهم ، وعوامل أخرى ، يجب أن تقدر بقدرها في كل معركة على حدة ، ثم يجيء القرار الحكيم بالموافقة على إشراكهم في القتال أو عدمها ، وذلك هو واجب القائد المسلم وحده .

● ونبدأ بالسنة العملية فنجد أن رسول الله ﷺ ، في حالة معينة ، رفض الاستعانة بمشرك ، وقال :« إنا لا نستعين بمشرك »[1]. لكنه ﷺ استعان بمشرك يوم « أحد » هو المدعو « قزمان »[2]. ويوم « حنين » سمح ﷺ لصفوان بن أمية بأن يشهد معه القتال ، وكان صفوان لا يزال على شركه[3]. واستعان بأسلحة كانت عند صفوان ، وقال له ﷺ : « يا أبا أمية أعرْنا سلاحك هذا نلق فيه عدونا غدًا . فقال صفوان : أغصبًا يا محمد؟ قال : بل عارية ، ومضمونة ، حتى نؤديها إليك » ، قال : ليس بهذا بأس . فأعطاه مائة درع بما يكفيها من السلاح ، فزعموا أن رسول الله ﷺ سأله أن يكفيهم حملها ، ففعل »[4]. ولقد أعطى رسول الله ﷺ بعض المشركين وأجزل العطاء من غنائم « حنين » ، لكي يتألفهم بذلك ، ويدخلهم في الإسلام ، ومنهم « عُيينة ابن حصن » و« الأقرع بن حابس »[5]. وقال الشافعي إذا كان المشرك منفعة للمسلمين فلا بأس أن يغزو معهم »[6].

---

(١) ابن ماجه : كتاب الجهاد ، رقم ٢٨٣٢ ، ص ٩٤٥ . وانظر : نيل الأوطار ؛ ٢٢٣/٧ .
(٢) نيل الأوطار ؛ ص ٢٢٤ .
(٣) الأم ؛ ٩٠/٤ .
(٤) سيرة ابن هشام ؛ ٤٤٠/٢ .
(٥) المرجع السابق ؛ ص ٤٩٦ .
(٦) الأم : ٨٩/٤ .

هذا عن جواز اشتراك المشركين في القتال مع المسلمين .

● أما اليهود ، والنصارى ، فلهم شأن آخر . فقد أبرم النبي ﷺ معهم معاهدة تحالف ، ضمت المهاجرين والأنصار واليهود ، وقررت : «أنهم أمة واحدة من دون الناس» ، «وأنه من تبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة ، غير مظلومين ولا مُتناصَر عليهم» ، «وأن كل غازية غزت معنا يعقب بعضهم بعضًا» ، «وأن اليهود ينفقون مع المؤمنين ماداموا محاربين» ، «وأن على اليهود نفقتهم ، وعلى المسلمين نفقتهم ، وأن بينهم النصح على من حارب أهل هذه الصحيفة ، وأن بينهم النصح والنصيحة ، والبر دون الإثم» . وانضم إلى هذا الحلف يهود بني عوف ، ويهود بني النجار ، ويهود بني الحارث ، ويهود بني ساعدة ، ويهود بني جشم ، ويهود بني الأوس . . . . إلخ [(١)] .

● وهذه الوثيقة لا تجعل إشراك اليهود في الحرب مع المسلمين جائزًا فحسب ، بل تجعل قتال المسلمين مع اليهود ، ودفاعًا عنهم جائزًا أيضاً ، وواجباً طبقاً لهذه المعاهدة : فقد حكمت بأن المسلمين ـ أنصارًا ومهاجرين ـ واليهود جميعاً ، أمة واحدة ، ولكل طرف الحق في أن يلقى النصر من الأطراف الأخرى ، وقد حدث التناصر والتعاون فعلاً .

● وهذا لا يصدق على اليهود الصهاينة في فلسطين الذين اغتصبوا ديار المسلمين في فلسطين العربية المسلمة .

قال ابن قدامة إن النبي ﷺ : «استعان بناس من اليهود في حربه ، فأسهم لهم» . [(٢)] وهذا شيء طبيعي في ظل تلك المعاهدة .

● وسار الخلفاء الراشدون هذه السيرة مع النصارى ، فيذكر الطبري بسنده أن بعض نصارى العرب قاتلوا مع المسلمين ضد المجوس في معركة «البُوَيب» سنة ١٣هـ : فقد جاء أنس بن هلال النَّمْري بمدد من نصارى قومه ، وقدم بمدد

---

(١) سيد سابق ؛ فقه السنة ؛ ٢/٧٠٥ - ٧٠٩ .

(٢) المغني ؛ ٨/٤١٤ .

آخر « ابن مُرْدى الفهري التغلبى » من نصارى تغلب ، وقالوا ، حين رأوا نـزول العرب المسلمين : « نقاتل مع قومنا » [1] أي أنهم قاتلوا عصبية ، وربما طمعوا أيضاً في الغنائم . حدث ذلك في عهد عمر بن الخطاب ﷺ . وبناء على هذه السنن والأخبار تجاوز الفقهاء الكبار مبدأ اشتراك الكفار مع المسلمين في الغزو إلى الحديث عن أنصبتهم في الغنائم . « فالخرقى » صاحب المتن في « المغنى » يقرر المبدأ بقوله : « ويسهم للكافر إذا غزا معنا » ، ثم يورد ابن قدامة في الشرح اختلافات الفقهاء في ذلك ، وقد تراوحت مواقفهم بين أن يسهم للكافر كالمسلم ، أو يرضخ له ، أي يعطى نصيباً من الغنائم ، لكن أقل من المسلم[2].

● وتطرقوا إلى فرعيات أخرى ، فقال ابن قدامة : « وإن غزا جماعة من الكفار وحدهم ـ يعنى في سرية كلها منهم ـ فغنموا ، فيحتمل أن تكون غنيمتهم لهم ، لا خمس فيها ، لأن هذا اكتساب مباح ، لم يؤخذ على وجه الجهاد . . . »[3] وقالوا بجواز استئجار المقاتلين من غير المسلمين [4] .

● ومن الثابت أن المنافقين غزوا مع رسول الله ﷺ . لكن الإمام الشافعي يرى أنه لا يحل لقادة المسلمين أن يشركوهم معهم في القتال ، لأنهم لا يؤتمنون ؛ فهم خانوا الرسول ﷺ في كل غزوة غزوها معه . ففي « أحد » تراجعوا في اللحظات الأخيرة قبل المعركة ، ويوم « الخندق » كانوا يثبطون عزائم المجاهدين ويقولون ، كما سجل القرآن الكريم عليهم : ﴿ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴾ (الأحزاب:١٢). وفى غزوة « بني المصطلق » قال كبيرهم ، « عبد الله ابن أُبي ابن سلول » ، كما حكى عنه القرآن الكريم : ﴿ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ﴾ (المنافقون:٨) ، وكادوا أن يحدثوا فتنة

---

(١) تاريخ الطبري ؛ ٤٦٤/٣ .

(٢،٣) المغني ؛ ٤١٤/٨ .

(٤) المرجع السابق ؛ ص ٤٦٧ .

بين المسلمين . وفى غزوة « تبوك » تآمروا لاغتيال النبي ﷺ في أثناء العودة ليلاً ، ونجاه الله تعالى وفضح مؤامراتهم . فالنبي أشركهم معه في غزوات عديدة ، والأخبار بهذا كثيرة .

والإمام الشافعي يحكى هذا ، كما تحكيه كتب السيرة والتفسير ، لكنه يقرر أنه لا يحل لإمام المسلمين ، أو حاكمهم ، أن يسمح للمنافقين بالقتال ، ويستند إلى الآية الكريمة القائلة : ﴿ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴾ (التوبة:٤٦). فهذه الآية تحكم ـ عنده ـ بأن :« يمنع من عرف بما عرفوا به من أن يغزوا مع المسلمين ، لأنه ضرر عليهم »[١] . لكن هذه الآية الكريمة تتحدث عن قوم لم يخرجوا أصلاً ، ولم يعدوا العدة للخروج للقتال . فيكون أساس المنع للمنافقين من الغزو مع المسلمين هو المصلحة الحربية ، وهذه يقررها إمام الأمة في كل حالة معينة . والأرجح أن يكون اشتراكهم ضارًا بالمسلمين ، كما قرر الإمام الشافعي . والمشكلة في أمر هؤلاء هي أنهم أخابث لا يسهل الكشف عن حقيقتهم ، لإجادتهم الرياء والمراوغة والختل .

- كان الصديق ﷺ هو الذي واجه المرتدين الذين أبوا إيتاء الزكاة مع إقرارهم بالشهادتين ، ولم تأخذه بهم رحمة ، ومن ورائه صحابة رسول الله جميعًا ، حتى قضى عليهم . فكان من الطبيعي أن يأبى إشراكهم في القتال مع المسلمين . فعن عامر الشعبي قال : « كان أبو بكر لا يستعين في حربه بأحد من أهل الردة حتى مات . وكان « عمر » قد استعان بهم ، فكان لا يؤمر منهم أحداً إلا على النفر ـ يعنى العدد القليل ـ وما دون ذلك . . . ولا يطمع من انبعث في الردة في الرياسة »[٢] .

وفى حسباني أن هذه السياسات الراشدة تنتهك اليوم على أوسع نطاق . والمرتدون الجدد يقودون الجيوش ، ومن المستحيل أن « يجاهد » جيش يفتقر إلى القيادة المؤمنة .

---

(١) الأم ؛ ٨٩/٤ .

(٢) تاريخ الطبري ؛ ٢٥/٤ .

● وصفوة القول إذن إن الجيش المسلم المجاهد يجب أن يكون مكوناً من المسلمين ، المؤمنين ، جندًا وقادة ، لكن هذا لا يمنع من الاستعانة بغير المسلمين ، سواءً كانوا من المشركين أو المنافقين ، أو من أهل الكتاب . وتقرير إشراكهم راجع إلى إمام المسلمين الذي يملك من المعلومات عن جيشه وعنهم وعن جيش عدوه ما يمكنه من البت في الأمر ، وهذه الإجازة أو الإباحة سمة جلية للمرونة التي تطبع شرائع القتال في الإسلام ، وهي كفيلة بأن تمكن المسلمين من مواجهة كل معركة بالقوة اللازمة ، دون التورط في التعسف في التأويل والتفسير ، أو التردد في الاستعانة بغير المسلمين ، إذا ترجحت الفائدة من ذلك .

● الدعوة إلى تجاوز النصوص القرآنية

● ويأخذ القمني على شيوخ الإسلام افتقاد أي مجتهد جريء : « يطلب مثلاً إعادة النظر في مفاهيم النصوص (القرآنية والحديثية) ذاتها بما يتفق وظروفنا وزماننا ، حتى أننا لم نقترب حتى اليوم من نصوص الرق والسبايا والعبودية إطلاقًا ، ولا طالبنا مجمعًا دينيًا بإصدار ما يفيد بإيقاف العمل بإحكامها ؛ قياسًا على اجتهادات جريئة أخرى مماثلة سبقتنا »[1] .

- وتلك قضية واحدة لا ثلاث قضايا كما يصورها هو زورًا ! ثم إنها لم تعد مطروحة في العالم الإسلامي أو خارجه ، اللهم إلا الاستثناءات غير الشرعية في بعض الدول الإفريقية . فلم يعد لدينا رقيق أو عبيد أو سبايا . وهذا دليل إفلاس للقمني .

- فهو ينقل بلا وَعْي انتقادات قديمة لأنه يريد تكثير اعتراضاته على الشريعة الإسلامية والتشكيك في إنسانيتها وعدالتها .

● والحق أن موقف الإسلام من الرق مشرف جدًا فقد كان يهدف إلى سد الأبواب في وجه الرق ، وفتح الأبواب للعتق . وقد تم عتق آلاف العبيد والسبايا وتحريرهم وإعطائهم مكانة لائقة بهم كمسلمين .

---

(١) السؤال الآخر ؛ ص ٩٥ .

● ثم إن هذه المسألة قضية عالمية لا تتقرر من طرف دولة واحدة . فالعالم القديم كان يقوم على أساس الرق . وأسرى الحروب كانوا يُسترقون إلى أن يتم تبادل الأسرى . فإذا ألغى في بلاد الإسلام لن يُلغ خارجه ، ويتوقف تبادل الأسرى ، ويبقى الأسرى من المسلمين عبيداً إلى الأبد ! فلا لوم على الإسلام أنه لم يحرم الرق .

● ومن مظاهر الرقي حكم الإسلام أن يقدم جزءا من الزكاة لتحرير العبيد بحكم آية الزكاة . فيقول ابن قدامة : « لا نعلم بين أهل العلم خلافاً في ثبوت سهم الرقاب »[1] . ويجوز دفع جزء منها للمكاتب ـ وهو العبد الذي يشترى حريته من سيده ، وإن اختلف الفقهاء في ذلك . وقال ابن عقيل إنه : « يجوز دفع الزكاة إلى سيد المكاتب وفاءً عن الكتابة ، وهو الأولى ، لأنه أعجل لعتقه وأوصل إلى المقصود الذي كان الدفع من أجله فإنه إذا أخذه المكاتب قد يدفعه وقد لا يدفعه »[2].

● وندب القرآن الكريم وحث على زواج الأحرار من الرقيق ، وقال تعالى : ﴿ وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (النور:٣٢). وبهذا أعطاهم مكانة اجتماعية محترمة .

● وقد صانت السّنة كرامة العبيد وإنسانيتهم ، فقال رسول الله ﷺ : « من لطم مملوكه أو ضربه فكفارته عِتْقُه »[3]. ويستطيع العبد أن ينال حريته بنظام المكاتبة . والله تعالى يقول : ﴿ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ﴾ (النور:٣٣). والأمر هنا على الوجوب[4]. وللعبد أن يقسط ما عليه دفعه من المال[5]. وعلى

---

(١) المغني ؛ ٦/٤٢٩ .

(٢) المغني ؛ ٦/٤٣٠ .

(٣) عن ابن عمر رضي الله عنه .

(٤) ابن رشد ؛ بداية المجتهد ؛ تحقيق الدكتور محمد سالم محيسن والدكتور شعبان محمد إسماعيل ؛ نشر مكتبة الكليات الأزهرية بالقاهرة ؛ سنة ١٩٨٣ ص ٤٠٣ .

(٥) المرجع السابق ؛ ٤٠٩ .

المالك أن يتنازل عن آخر قسط لقول الله تعالى : ﴿ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ ءَاتَىٰكُمۡ ﴾ (النور:٣٣).

● ولو طبقت الشريعة الإسلامية نصًا وروحًا لاختفى الرق منذ زمن بعيد ، لكن الظروف الدولية المعقدة ، واستيلاء الطغاة على مقاليد الحكم وما نتج عنه من حروب دامية ، أدى إلى خروج جوانب عديدة من حياة المسلمين من مظلة الشريعة ، ومن ضمنها تحرير الرقيق .

- قاعدة « لا اجتهاد مع النص » : رفض قاعدة أصولية !

● وهو يرفض هذه القاعدة بعد تحريفها ، فيصوغها هكذا : « لا اجتهاد على الإطلاق مع نص » . فيرتكب خطيئتين بدلاً من واحدة ! [١]

- والأصوليون يقررون أن بعض النصوص تسمح بالاجتهاد في تفسيرها ، لأنها ليست قطعية الدلالة ، أي أنها بطبيعتها تقبل التفسير على أكثر من نحو . والأمثلة عليها كثيرة جدًا . وقد مارس الصحابة رضوان الله عليهم الاجتهاد في تفسير هذه النصوص . من ذلك مثلاً قول الله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوۡنَ مِنكُمۡ وَيَذَرُونَ أَزۡوَٰجٗا يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرۡبَعَةَ أَشۡهُرٖ وَعَشۡرٗا ﴾ (البقرة:٢٣٤) . ففسرها عمر بن الخطاب ﷺ بلزوم الدار ، وفسرها علي بن أبي طالب بعدم الزواج » [٢].

- أما النصوص قطعية الدلالة فلا مجال للاجتهاد فيها ، من ذلك مثلاً قوله تعالى : ﴿ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ ﴾ (النساء:١١) . لكن القمني يرفض هذه الآية رفضاً باتًا ويروج لتجاوزها باعتبارها تظلم النساء ! !

- إنه يغالط في صيغة القاعدة ويحرفها ثم يحمل عليها باعتبارها تمنع الاجتهاد ! ويورط نفسه في رفض آيات محكمات بمحاولة فهمها على مزاجه هو في حين أنها قطعية الدلالة !

---

(١) السؤال الآخر ؛ ص ٣٨ ، ٣٩ .

(٢) تفسير الطبري ؛ تفسير الآية رقم ٢٣٤ من سورة البقرة ؛ ٢/٩٨٥ .

- **سهم المؤلفة قلوبهم :**

- وهو يأتي بأمثلة من اجتهادات الصحابة لتأييد رأيه الخاطئ . من ذلك وقف سهم المؤلفة قلوبهم في عهد أبى بكر وعمر ، وينقل ذلك عن غلاة الشيعة .

ويتهم الناقد العلماني عمر بن الخطاب بأنه قدم رأيه على نص القرآن الكريم حين أوقف صرف سهم المؤلفة قلوبهم[١] .

والمؤلفة قلوبهم كانوا قوماً حديثي عهد بالإسلام ، فكان النبي ﷺ يتألفهم بإعطائهم سهمًا من الصدقات . وقد قال ﷺ : « إني أعطى قريشًا أتألفهم ، لأنهم حديثو عهد بجاهلية »[٢] . أو هم ـ كما قال عليه الصلاة والسلام ـ : « من أسلم ونيته ضعيفة »[٣] . حين سأل سعد بن أبي وقاص النبي أن يعطى رجلاً مؤمنًا ، قال عليه وعلى آله الصلاة والسلام : « إني لأعطى الرجل ، وغيره أحَبُّ إليَّ منه ، مخافة أن يكبَّه الله في النار » . وشرح البيهقي هذا الحديث فقال : « أي أتألف قلبه بالإعطاء مخافة كفره إذا لم يُعط »[٤] .

ويقول الشعبي إنه لم يبق من المؤلفة قلوبهم أحد ، إنما كانوا على عهد رسول الله ﷺ . فلما استخلف أبو بكر ﷺ ، انقطعت الرشا . وعن الحسن قال : « أما المؤلفة قلوبهم فليس اليوم »[٥] . يعنى أن الإسلام لم يعد بحاجة إلى أحد منهم وأن إيمانهم قوي واستقر .

وقد أخرج البخاري عن عروة بن الزبير أن حكيم بن حزام كان يأخذ من سهم المؤلفة قلوبهم ، لكنه في عهد أبى بكر تورع عن الأخذ منه . وعرض

---

(١) السؤال الآخر ؛ ص ٣٨ ، ٣٩ .

(٢) النص والاجتهاد ؛ ص ١٠٦-١٠٩ .

(٣) فتح الباري ؛ كتاب فرض الخمس ؛ رقم ٣١٤٦ ؛ ٦/٢٥٠ .

(٤) البيهقي ؛ السنن الكبرى ؛ ٦/٢٠ .

(٥) المرجع السابق .

عليه عمر حقه من السهم ، فأبى أن يأخذه[1]. ولو قبل لكان ذلك دليلاً على ضعف إيمانه ، لكنه رفض لأنه رأى أنه لم يعد من المؤلفة قلوبهم .

من هنا نتبين لماذا أوقف أبو بكر وعمر إعطاء المؤلفة قلوبهم . . فوضع الإسلام تغير من ضعف إلى قوة . وأحوال المؤلفة قلوبهم تغيرت من ضعف الإيمان إلى الرسوخ فيه ، حتى أن بعضهم رفض أخذ نصيبه تورعًا ، كما رأينا ، لكن البعض أراد الاستمرار في الأخذ على الرغم من تغير الظروف جذريًا ، فرفض أبو بكر إعطائهم من السهم .

- فعن ابن سيرين عن عبيدة قال : جاء عُيَيْنَة بن حصن والأقرع بن حابس إلى أبي بكر ﷺ فقالا : يا خليفة رسول الله إن عندنا أرضاً سبخة ليس فيها كلأٌ ولا منفعة ، فإن رأيت أن تقطعناها لعلنا نحرثها ونزرعها ! فقال أبو بكر : إن رسول الله ﷺ كان يتألفكما والإسلام يومئذ ضعيف. وإن الله قد أعز الإسلام، فاذهبا فاجهدا جهدكما ، لا أرعى الله عليكما إن رعيتما »[2]. وهذا هو العدل . لقد زالت صفة المؤلفة قلوبهم عنهم ، فلم يعودوا يستحقون السهم . والشيء نفسه يقال على الفقراء والمساكين ، أعني أنه إذا زالت صفة الفقير والمسكين عن أحد منهم ، وصار غنيًا ، وجب وقف صرف نصيبه من السهم . وهذا ليس اجتهاداً مناقضاً للنص ، بل هو تدقيق في تطبيق النص لكي يصل الحق إلى مستحقيه الشرعيين . ولا أظن أن أحداً من كبار علماء الشيعة يمكن أن يعترض على ما صنعه الشيخان ؛ وما صادفته من نقد وخلاف لدى بعض الكتاب الشيعة فلا مسوغ له . وهو يمثل درجة من الغلو في مقت الشيخين ﷺ ، ويجب أن يوضع له حد ، صوناً لوحدة المسلمين .

ومن المهم أن نفكر اليوم في مصارف جديدة لسهم المؤلفة قلوبهم : « في مقاومة الردة والإلحاد . وإن لسهم المؤلفة قلوبهم مصرفاً في تحرير الشعوب

---

(١) فتح الباري ؛ كتاب فرض الخمس ؛ رقم ٣١٤٣ ، ٦/٢٥٠.

(٢) البيهقي ؛ السنن الكبرى ؛ ٦/٢٠ .

المستعمرة من الاستعباد إذا لم يكن له مصرف في تحرير الأفراد ، وإن لسهم « في سبيل الله » مصرفاً في السعي لإعادة حكم الإسلام ، وهو أهم من الجهاد لحفظه في حال وجوده من عدوان الكفار ، ومصرفاً آخر في الدعوة إليه والدفاع عنه بالألسنة والأقلام ، إذا تعذر الدفاع عنه بالسيوف والأسنة وبألسنة النيران »[1]

ويقول ابن سلام رحمه الله : « إنه إذا انقرض هذا الصنف من الناس توقف صرف السهم ، وحوِّل إلى فئة أخرى من المستحقين . وإذا احتاجت الأمة من جديد إلى تأليف قلوب البعض عاد صرف السهم لمن يُرجى إسلامهم أو تأييدهم للمسلمين أو كف أذاهم عنهم . وهذا ما قاله الحسن وابن شهاب ، باعتبار الآية محكمة : « لا نعلم لها نسخاً من كتاب ولا سُنة »[2].

وما أكثر الذين يمكن تألُّف قلوبهم من الصحافيين والمؤلفين والفنانين ، ليقولوا كلمة الحق ويدحضوا الأباطيل التي يروَّج لها في الغرب ضد الإسلام والمسلمين !

التمتع في الحج :

ويصور القمي عمر بن الخطاب في صورة المتمرد على شريعة الله ، الذي أحل رأيه محل النصوص القرآنية والحديثية !

وقد زعم أن عمر بن الخطاب وقف على المنبر في المدينة المنورة وقال للناس : أحل لكم النبي مُتعتين ، متعة الحج ومتعة النساء ، وأنا أحرمهما عليكم ، وأعاقب كل من يتمتع بهما ![3] كأن عمر جاء بشريعة جديدة تنسخ شريعة الإسلام وتلغيها !

وهذه التهمة قديمة ، ورد عليها شيخ الإسلام ابن تيمية ، ومع ذلك لا تزال تتردد في مؤلفات الشيعة إلى اليوم .

---

(١) رشيد رضا ؛ تفسير المنار ؛ سورة التوبة رقم ٩ — ١٠/٤٤٤ .

(٢) ابن سلام (أبو عبيد القاسم) ؛ كتاب الأموال ؛ ص ٥٣٧ .

(٣) عبد الحسين شرف الدين ؛ النص والاجتهاد ؛ ص ٢٢٥ .

● ونبدأ بمسألة حج التمتع ، فنقول إنه شريعة قرآنية ، ويستحيل أن يجسر على إلغائها إمام أو حاكم ، أو أية قوة أو سلطة على ظهر الأرض ! قال تعالى : ﴿ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ ﴾ (البقرة:١٩٦) ثم حدد القرآن التعاليم التي ينبغي احترامها في حج التمتع . وقد سُئل الإمام الشافعي رحمه الله عن التمتع بالعمرة إلى الحج فقال : « إنه حَسَن غير مكروه ، وقد فُعل ذلك بأمر النبي ﷺ ؛ وإنما اخترنا الإفراد لأنه ثبت أن النبي ﷺ أفرد ، غير كراهية للتمتع . ولا يجوز- إذا كان فعل التمتع بأمر النبي ﷺ أن يكون مكروهًا[1] ، ثم عقب الشافعي بقوله إن عمر بن الخطاب فضْل الفصل بين الحج والعمرة ؛ وهذا لا يخالف السُّنة »[2].

وأورد البيهقي أخباراً عديدة عن هذه المسألة ، ومن ضمنها حوار جرى بين « علي » و« عمر » رضي الله عنهما .

- قال علي : أنَهيْتَ عن المتعة ؟
- قال عمر : لا ولكنى أردت كثرة زيارة البيت .
- قال علي : مَن أفرد الحج فَحسَنٌ ، ومَن تمتع فقد أخذ بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ وآله .

ومن هذا نفهم أن عمر لم ينه عن التمتع ولا حَرْمه كما يزعم غُلاة الشيعة ، ولكنه أراد الإكثار من زيارة المسلمين لبيت الله الحرام ، فلا يُهجر في أي فترة من العام . وهذا هو ما يُسمى « العمل بالأفضل » وهذا هو ما أيده عثمان بن عفان رضي الله عنه . وخاف « علي » أن يفهم البعض أنه نَهى عن التمتع ، ولذلك عارضه ، « وكل منهما مجتهد مأجور »[3] . ونحن نعلم أن الحج مستمر إلى اليوم إفرادًا وتمتعًا وقرانًا : تلك شريعة الله :« لأبد الأبد» كما قال ﷺ[4] .

---

(١) الشافعي ؛ الأم ؛ ١٩٩/٧ .
(٢) المرجع السابق .
(٣) فتح الباري ؛ كتاب الحج ؛ رقم ١٥٦٣ - الشرح ؛ ٤٢٥/٣ .
(٤) ابن ماجه ؛ سنن ابن ماجه ؛ رقم ٢٩٨٠- ٩٩٢/٢ .

ويقول ابن القيم رحمه الله إن عمر لم ينه عن حج التمتع وإنما قال : « إن تمام حجكم وعمرتكم أن تفصلوا بينهما » ، وبهذا اختار عمر أفضل الأمور وهو إفراد كل من الحج والعمرة بسفر ينشئه من بلده . وهذا أفضل من القران والتمتع الخاص بدون سَفْرة أخرى » [1] وعن طاوس في قوله تعالى : ﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾(البقرة:١٩٦) قال : « تفردهما مؤقتتين ، من أهلك ، فذلك تمامهما » . وقال قتادة : « تمام العمرة ما كان في غير أشهر الحج . ومن كان في أشهر الحج ، ثم أقام حتى يحج ، فهي متعة » (تفسير الطبري ؛ البقرة ؛ الآية ١٩٦) .

● زواج المتعة :

ويزعم القمني أن عمر بن الخطاب وقف على المنبر ذات يوم وقال : « أحلَّ النبي متعتين ـ متعة الحج ومتعة النساء ـ وأنا أحرمهما عليكم ، وأعاقب كل من يتمتع بهما » [2] (كما سبق أن رأينا في متعة الحج) .

وقد رأينا الحقائق الخاصة بمتعة الحج ، وكيف تدحض تلك التهمة التي يراد إلصاقها بعمر الفاروق ﷺ . وسوف نرى فيما يلي الحقائق التي تثبت تحريم زواج المتعة ، وتثبت براءة الفاروق ﷺ من تهمة التمرد على شريعة الله تعالى ، وتؤكد حرصه على الامتثال لها .

إن متعة النساء : « قد شرعها الله ورسوله ﷺ ، وأباحها وعمل بها جماعة من الصحابة في حياته وبعد وفاته » [3] ويقرر كاشف الغطاء أن القول بحل زواج المتعة : « قد صار شعاراً لأهل البيت وشارة لهم » [4] وهذا كلام خطير جداً ، وأهل البيت برآء منه !

---

(١) إعلام الموقعين ؛ ٢٥٨/١ .

(٢) عبد الحسين شرف الدين ؛ النص والاجتهاد ؛ ص ٢٢٥ .

(٣) كاشف الغطاء ، أصل الشيعة ؛ ص ١٦٧ .

(٤) المرجع نفسه ؛ ص ١٧٤ .

- والحق أن زواج المتعة أُحل في أول الإسلام ، ثم حرمه النبي ﷺ عام الفتح في رواية ، وعام خيبر في رواية أخرى : « وكان ابن عباس يجيز المتعة وأكل لحوم الحمر ، فأنكر على بن أبى طالب ذلك عليه ، وقال له إن رسول الله ﷺ حرم متعة النساء ، وحرم لحوم الحمر الأهلية يوم خيبر . . . وروى عن ابن عباس ﷺ أنه رجع عن ذلك لمّا بَلَغَه حديث النهى عنهما »[1] ومعنى هذا أن الشيعة المتأخرين خالفوا السُّنة النبوية وخالفوا إمامهم الأول على بن أبى طالب ﷺ ، وأن أهل السنة متبعون للنبي وعلى وعمر ، وسائر الصحابة .

- وعن الربيع بن سبرة أن النبي ﷺ كان قد أباح نكاح المتعة ، ثم حرمها ، وقال : « هي حرام إلى يوم القيامة » ويؤيد الشافعي موقف أهل السُّنة الذي يحرم نكاح المتعة بالقواعد القرآنية الخاصة بالزواج والطلاق ، من ذلك قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ ﴾ (الأحزاب:٤٩) فلم يحرمهن الله على الأزواج إلا بالطلاق ؛ وهذا ما يفتقر إليه زواج المتعة ، وقال تعالى : ﴿ ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ ۖ فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ ﴾ (البقرة:٢٢٩) وقال تعالى : ﴿ وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ ﴾ (النساء:٢٠) . فجعل إلى الأزواج فُرقة مَن عقدوا عليه النكاح ، مع أحكام ما بين الأزواج . فكان بيِّناً ـ والله أعلم ـ أن نكاح المتعة منسوخ بالقرآن والسنة ، لأنه إلى مدة ، ثم نجده ينفسخ بلا إحداث طلاق فيه ، ولا فيه أحكام الأزواج »[2].

وقد عرض الإمام النووي رحمه الله للمسألة في شرحه لصحيح مسلم ، فأورد روايات عديدة ، ومتعارضة ، ثم انتهى إلى القول إن : « الصواب المختار أن التحريم والإباحة كانا مرتين . وكانت المتعة حلالاً قبل خيبر ثم حُرِّمت يومئذ بعد ثلاثة أيام تحريماً مؤبداً إلى يوم القيامة . واستمر التحريم . واتفق

---

(١) الشافعي ؛ الأم ؛ ١٦١/٧ .

(٢) الأم ؛ المختصر المازني على هامش ، ٢/٣ ، ٣ .

العلماء على أن المتعة كانت نكاحاً إلى أجل ، لا ميراث فيها . وفراقها يحصل بانقضاء الأجل من غير طلاق . ووقع الإجماع بعد ذلك على تحريمها من جميع العلماء ، إلا الروافض »[(١)].

- فلم يكن لعمر بن الخطاب يد في إجازة زواج المتعة أو تحريمه ، اللهم إلا بوصفه خليفة لرسول الله ﷺ ومسئولاً عن احترام الجميع لشريعته .

وتوسع الإمام ابن حجر رحمه الله في عرض المسألة ، وانتهى إلى أن إباحة المتعة نسخت ، وأن الإجماع انعقد على ذلك في عهد عمر : « فالمخالف بعد هذا الإجماع مُنابذٌ له وللجمهور »[(٢)].

- المطالبة بوقف العمل بحد السرقة : رفض آية مُحكمة !

● ويُبدى القمنى تعاطفه الكبير مع اللصوص ويقول إنه : « رجل لوثته الحضارة ويكره رؤية الدماء تُسفك والأيدى تُقطع والأجساد تُجلد »[(٣)].

وهو يتناسى أنه بهذا الكلام يرفض آية مُحكمة من كتاب الله تعالى[(٤)].

● وهذه هي الرؤية القاصرة الخادعة للحدود الشرعية .

فحد السرقة إذا طُبِّق فإنه يحفظ دماء المسلمين ويؤمن أموالهم . ويُرسِّخ الأمن في مجتمعهم ، لأن اللص لا يُقدم على السرقة إلا وهو يعلم أن ضحيته سوف يقاومه ، ولذلك يتسلح بالسلاح الذي يقدر عليه لقتله .

فاللص يسرق المال ، ويسفك الدماء ، ويبث الخوف في المجتمع . وحد السرقة يصون هذه القيم الثلاث : النفس والمال والأمن .

وقطع يد لص يردع اللصوص ويحمى دماء المئات ويصون الأمن .

---

(١) صحيح مسلم ؛ ٩/١٨١ .

(٢) فتح الباري ؛ كتاب الطلاق ؛ رقم ٥٢٦١- ٩/٣٦٥ .

(٣) السؤال الآخر ؛ ص ٦٢ .

(٤) وهي قوله تعالى ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَـٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (المائدة:٣٨).

لهذا نقول إن تطبيق حد السرقة هو الذي يقينا من رؤية الدماء البريئة تُسفك والرقاب تُقطع والأمن يتبدد . وكلام القمنى ـ على هذا ـ دليل على قصر نظره وسوء تقديره الذي يمليه عليه رفضه للقرآن الكريم والسُنَّة النبوية المطهرة ، وإعلاء المصلحة الموهومة فوقهما ، والاحتكام إلى شهوات الأفراد والأحزاب .

السخرية من حديث شريف ورفضه !

● ويقول القمنى إن تصورات أُسطورية وضعت لتفسير منابع أنهار المنطقة . وظلت تلك التصورات الأسطورية حتى عهد قريب : « في حديث منسوب لنبي الإسلام ﷺ : « إن أهم أنهار المنطقة ، وضمنها النيل ، تنبع من السماء من تحت عرش الرحمن ، حيث لم يكن العلم بجغرافية الأرض قد اتسع بعد »[1] .

● والقمنى لا يعبأ بتخريج الحديث ، لأنه مُكذب لرسول الله ﷺ ، ولا بأس عنده من التحدث عن النبي بأسلوب مسف ، فيصف الحديث بأنه ينطوي على تصورات أسطورية . والحق أن جميع أنهار الدنيا أمطار تسقط من السماء ، وأصلها مياه متبخرة من البحار ، في دورة معروفة للجميع . وهذه الدورة نظام كوني قدَّره الله تعالى لكي يستطيع الإنسان أن يحيا على الأرض . والكون كله يُدبره الله تعالى ، والقول إن الأنهار تنبع من تحت عرش الرحمن ، تعبير عن التدبير الإلهي للكون ، وهو لا يعنى أن هناك بحيرات تحت العرش تصب في الأنهار !

- فأين الأسطورة هنا ؟ هل قال النبي ـ وحاشاه ! ـ إن الأمطار دموع الملائكة مثلاً كما قال غيره ؟ ألا يرى الناس مياه الأنهار تأتى من السماء ، من الأمطار؟ وإذا تمعَّنوا في الظاهرة عرفوا أن مصدرها البحار ؟

● إن علينا أن نقول إن الحديث الشريف تعبير مُعجز وصادق عن مصدر مياه الأنهار ـ هذا إذا كنا مؤمنين بنبوة محمد ﷺ . أما إذا كنا مُنكرين لها فلنتحدث عن التصورات الأسطورية ، ونهبط في لغتنا إلى مستوى الإسفاف والبذاءات !

---

(١) السؤال الآخر ؛ ص ١٢ .

الوحْي في الصورة العـُلوية

الوَحْي : الـمَرْجعيَّةُ العُلْيا

● أهم مكون في فكر الأمة المسلمة أنها تستقى عقائدها وأفكارها وتشريعاتها وقيمها الأخلاقية من الوحْي ، أي من كتاب الله تعالى ـ التراث المقدس للأمة . وهذا المكون هو ما يميز شخصية الأمة المسلمة من شخصيات الأمم العلمانية التي تتخذ من الخبرات البشرية مرجعية عليا لها .

● والقرآن الكريم يعتمد السُّنة النبوية المطهرة بوصفها وحياً من عند الله تعالى وإن كان التعبير عنها من عند النبي ﷺ[1] .

● ولهذا نجد العقائد والشرائع الإسلامية قائمة على هذين المصدرين العظيمين ، ويقابلنا قول الكتاب والمؤلفين والمفسرين والمحدِّثين والفقهاء : « قال الله تعالى » و« قال رسول الله ﷺ » مئات المرات أو ألوف المرات ، في كل ما أنتجوه من عيون التراث البشرى .

● والقرآن الكريم يأمر المسلمين بالاستناد إلى هذه المرجعية في العديد من آياته الكريمة ، كما يأمر باتباعها ؛ من ذلك مثلاً قوله تعالى : ﴿ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾

(الأعراف:٣).

﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ ﴾ (الإسراء:٩).

﴿ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾ (المائدة:٤٤)

---

(١) أبو حامد الغزالي : المستصفى ؛ ص ١٥٣ .

﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾ (الحشر:٧)

● ويؤكد القرآن الكريم واجب الاحتكام إلى النبي ﷺ ، فيقول : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ (النساء:٦٥).

ويقول ﷺ : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَـٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ (النساء:٥٩)

- وقال النبي ﷺ : « من أطاعني فقد أطاع الله ، ومَن عصاني فقد عصا الله »[(١)].

● واستنادًا إلى القرآن والسنة ـ تراثنا المقدس ـ كشف علماء أصول الفقه عن مصدرين آخرين للتشريع إلى جانب الوحي ، هما : الإجماع والقياس . وفي هنا يقول الإمام الشافعي إنه : ليس لأحد أبدًا أن يقول في شيء : حَلَ أو حَرَمَ إلا من جهة العلم ؛ وجهة الخَبَرُ في الكتاب والسنة ، أو الإجماع أو القياس »[(٢)]. ويقول الإمام الشاطبي بقول الشافعي .[(٣)] والكتاب هو الأصل الذي يمنح المشروعية للسنُّة والإجماع والقياس . ولذلك لا يؤخذ بأي حديث منسوب إلى النبي ﷺ إذا تعارض مع الكتاب ولم يتيسر التوفيق بينهما . وقد ردَّت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها الحديث القائل : « إن الميت يُعَذَّبُ ببكاء أهله » . لتعارضه مع قول الله تعالى : ﴿ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَـٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾ (النجم:٣٨،٣٩)

- والقاعدة نفسها تَصْدُق على الإجماع والقياس . وهذا بَدَهي .

---

(١) ابن ماجه ؛ حديث رقم ٣ .

(٢) الرسالة ؛ نشر البابي الحلبي بالقاهرة ؛ ط ٢ سنة ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣م ؛ ص ٢٥ .

(٣) الموافقات في أصول الأحكام ؛ ٤/٣ .

● والكتاب والسنة والإجماع والقياس لا تتنافى ـ غالبًا ـ مع المعارف العقلية والخبرات البشرية . وفى حالة التعارض يجب أن تكون كلمة الوحي هي العليا ، وأن لا تكون تلك الخبرات حاكمة عليه[١].

● وهـذه الحقيقـة الأخـيرة كانـت هـي المسـألة الخلافيـة الأساسـية بـين الإسلاميين والعلمانيين .

● ويبين الشافعي رحمه الله حقيقة مهمة جدًا ، ألا وهى أن للعقل حدوداً يجب أن يقف عندها . وبألفاظ الإمام نفسها قال : « إن للعقل حدًا ينتهي إليه ، كما أن للبصر حدًا ينتهي إليه »[٢]. وهذه الحقيقة هي التي توصل إليها فيلسوف ألمانيا عمانويل كانط (١٧٢٤ـ١٦٠٤م) في كتابه الشهير : « نقد العقل المحض »[٣].

ويشير الشاطبي إلى هذه الحقيقة القائلة إن الاستدلال بالكتاب والسنة يتم بواسطة العقل البشرى ؛ لكن المعارف العقلية لا مشروعية لها ولا صدق فيها إذا عارضت الوحي ولم يتيسر دَرْءُ التعارض[٤].

● ويرى الشيعة أن للعقل دورين :

(أ) فالعقل أداة الإنسان لإدراك صدق النبي وتقدير الإعجاز في رسالته ، وقيادة صاحبه إلى الإيمان أو إلى الكفر .

(ب) فإذا آمن الإنسان بقيادة عقله ، مارس التفكير لإدراك أحكام الدين والكشف عن التكاليف الشرعية . وفى هذه المرحلة تكون كلمة الوحي هي العليا عند تعارضها مع مقررات العقل ، واستحالة التوفيق[٥]. وبهذا

---

(١) الموافقات ؛ ٣/١٦ .

(٢) آداب الشافعي ومناقبه ؛ ص ٢٧١ .

(3) Critique of Pure Reason; Eng . Trans . By J . M . D . Meiklejohn; London; J . M . Dent and Sons LTD; 1956; pp . 249-281 .

(٤) الموافقات ؛ ٣/٢٥ .

(٥) محمد أبو زهرة ؛ الإمام الصادق ؛ ص ٤٩٤-٤٩٥ .

يتفقون مع أهل السنة في هذه المنهجية . لكن العلمانيين من أمثال القمنى يريدون أن تكون اليد العليا للعلوم المادية والخبرات البشرية عند تعارضها مع مقررات الوحْي ، وبذلك تصبح تلك الخبرات هي المرجعية العليا للفكر والعمل . وهذا هو جوهر الفلسفة العلمانية السائدة في الغرب وفى معظم بلاد العالم اليوم . وعلى ذلك يرفع القمنى والعلمانيون عامة في العالم الإسلامي مقررات العقل ، وآراء البشر ، فوق مقررات الكتاب والسُّنة .

● وتثور بسبب ذلك منذ ثلاثينيات القرن العشرين قضايا عديدة مثل : فوائد المصارف الربوية ، والخلافة ، وميراث الأنثى ، والخمار ، وشرب الخمر ، والقومية والوطنية ، وختان الإناث ، والضيافة ، وغنائم الحرب ، وقوامة الرجل على امرأته ، والمذاهب الفلسفية المادية ، والتشريع الوضعي ، تثور هذه القضايا حيث يصطدم الإسلاميون بالعلمانيين .

ويستند العلمانيون إلى مزاعم المستشرقين الغربيين وإلى آراء المفكرين الغربيين ، من أمثال : « دافيد هيوم » (١٧١١ - ١٧٧٢م) و« دارون » (١٨٠٩ - ١٨٨٢م) و« ماركس » (١٨١٨ - ١٨٨٣م) و« فرويد » (١٨٥٦ - ١٩٣٩م) وغيرهم .

● ومن المؤسف أن العلمانيين المنحدرين من أصلاب المسلمين يُراوغون ويُغالطون فيما يستوردونه من الغرب ! وكذلك يُغالطون حين يستندون إلى الفكر الإسلامي ورجاله . من ذلك مثلاً : الادعاء بأن الأئمة الأربعة ـ أبا حنيفة ومالكاً والشافعي وأحمد بن حنبل : « جعلوا من الرأي ومن حُكْم العقل تشريعاً ومنهاجاً . . . » وأن مدرسة أحمد بن حنبل : « تـقدم المصلحة على النصوص الدينية » . بهذا التعميم المُجافى للحقيقة يريد خالد محمد خالد جَعْل العقل فوق الوحي[1] .

---

(١) راجع : خالد محمد خالد ؛ من هنا نبدأ ؛ ص ٦٢ ، ٦٣ .

● والحق أن علماء الأمة عرفوا للعقل قدره ومكانته تحت سلطان الوحي ، كما بيَّن الشافعي والشاطبي وغيرهما من الأصوليين . والمصالح المرسلة مجالُها عند مالك «مالا نص فيه» . وحتى حين قال : «الطوفى الحنبلي» بالمصلحة ، لم يذهب إلى تقديمها على النصوص الدينية بمعنى الإبطال أو الإلغاء ، بل بمعنى التخصيص ، أي إخراج البعض من حكمها . وقد شرط الفقهاء شروطاً صارمة للأخذ بالمصالح المرسلة : «تمنع الأخذ بهذا الأصل من أن يخلع الرِّبْقة ، ويجعل النصوص خاضعة لأحكام الأهواء والشهوات باسم المصالح»[1]. لكن العلمانيين خلعوا الربقة وحاولوا جعل الكتاب والسنة خاضعيْن لأهوائهم ، مع التمسح بالإسلام وبمبدأ المصالح المرسلة بمعناه المزوَّر الذي لا يعترف به عالم مسلم يُعْتَد بعلمه .

● ومع تكرار الحديث عن المصالح المرسلة ، وانتشار الأميين ، وأنصاف المتعلمين ، ودعم القوى الأجنبية ، انخدع كثير من المسلمين في أولئك العلمانيين ، وصدَّقوهم ، فذاعت مزاعمهم وشوشت على الحياة الفكرية في بلاد المسلمين .

● لكن من العلماء والباحثين مَن تصدوا للمخادعين والمزورين ؛ وصدرت لهم عشرات المؤلفات التي تفضحهم ، ومئات المقالات التي تقدم الحقائق فيما يتعلق بهذا المَعْلَم المهم من معالم شخصية الأمة المسلمة . وقد بيَّنوا المواقف الحقيقية لعلماء الأمة ، ومنهم «الطوفي الحنبلي» ، وبعض المعتزلة الذين اتُّهموا بتقديم المصالح المرسلة على الوحي[2]. ويعلم الدارسون للتراث الإسلامي أن أحداً لم يقبل تقديم العقل على الوحي ؛ وعلى الرغم من النقد العنيف الذي يوجهه بعض الإسلاميين القدامى إلى بعض ، لا يقابل الباحث المُعاصر قائلاً بتقديم العقل على الوحي ، ولا نقدًا لقائل بذلك ، لأنه لم يوجد أصلاً . وأكبر موسوعة نقدية للمعتزلة هي : كتاب «بيان تلبيس الجهمية»

---

(١) أبو زهرة ؛ أصول الفقه ؛ فقرة رقم ٢٧٠ ص ٢٦١ .

(٢) انظر على سبيل المثال : رسائل التوحيد والعدل ؛ تحقيق دكتور محمد عمارة ؛ ص ١٠ .

لشيخ الإسلام ابن تيمية ، ليس فيها أنهم قدَّموا العقل على الوحي[1]. حتى الفلاسفة الذين تأثروا بالفلسفة اليونانية القديمة ومنطقها العقلي ، لم يقولوا بتلك المقولة ، وكان هَمُّهم التوفيق بين « العقل والنقل » ، أي الفلسفة والوحي المُنزَل ، وتسخير الفلسفة في خدمة الإسلام والدفاع عنه والبرهنة على صحة عقائده ببراهين عقلية ، بصرف النظر عما أصابوا من توفيق ؛ وهذا ما يغفله القمنى كلية .

● وبهذا استطاع التراث الإسلامي الواسع ، الخصيب ، أن يزود الباحثين المسلمين بالأسانيد القوية لتدعيم المرجعية الإسلامية فى مواجهة الحملات المتوالية ، على امتداد قرنين من الزمان ، تلك التي أرادت استبدال « العقل والخبرات البشرية » بالوحي ، كمرجعية للأمة المسلمة[2].

- وحاول العلمانيون إيهام المسلمين بأن العلوم الحديثة يمكن - بل يجب ! - أن تحل محل الدين : « وأن التصورات الأخلاقية والاجتماعية القديمة التي تقوم على الإيمان وعلى الدين ، أو ما يسمونه (الميتافيزيقا) ، أو (العقلية الغيبية) ليست إلا طوراً من أطوار البشرية في طفولتها الأولى ، لا تلبث أن تتخطاه حين تستقل بنفسها وتستغني بعقلها » . هذا الادعاء كان يروِّج له يعقوب صَرُّوف وفارس نمر في مجلة « المقتطف » ، وجورجي زيدان في مجلة « الهلال »[3]. وكان هذا ترديدًا لآراء « أوجست كونت» صاحب المذهب الوضعي في الفلسفة . وهو المذهب الذي تخطاه الفكر الأوروبي بمراحل ليحتل فصلاً صغيراً في تاريخ الفلسفة الحديثة ؛ وأما الوضعية كحركة فقد ماتت ! [4]

---

(١) نشر مطبعة الحكومة ؛ مكة المكرمة ؛ الطبعة الأولى سنة ١٣٩٢ هـ .

(٢) يلاحظ أن الباء تلحق بالمتروك

(٣) انظر : دكتور محمد محمد حسين ؛ الإسلام والحضارة الغربية ؛ ص ٦٠ .

(4) Readings in Twentieth Century Philosophy; The Free Press; New York; 1969; p.383.

● **إفساح المجال للتقدم العلمي**

- ويفسح الإسلام المجال أمام التقدم العلمي . فهناك مجال واسع لم تشمله نصوص الكتاب والسنة ، يشمل كل مجالات العلوم الطبيعية والتقنيات المبنية على نتائجها . وواقع المسلمين اليوم يشهد بأنهم مع العلوم الحديثة ، وقد أخذوا بها بكل احترام واهتمام . وعلماء الإسلام يحثُّون على ذلك لأنه يحقق مصالح الأمة ويمكنها من الدفاع عن نفسها . لكن النظريات الفلسفية ـ وهي مجرد آراء راجحة في نظر أصحابها ، ومرجوحة أو خاطئة في نظر مُخالفيها ـ وُضِعت مَوْضِع النقد ، ورُفِض كل ما من شأنه التعارض مع عقائد الإسلام وشرائعه ، وقُبِلَ ما لم يتعارض معها : رُفِضت المذاهب المادية الملحدة ، كالوضعية المنطقية والماركسية والوجودية ، والنسبية ، وقُبلت المذاهب المضادة للنسبية التي أكدت ثبات القيم الأخلاقية وخُلُودها كما يؤكده الإسلام .

● وفي إيجاز أقول : إن العلمانيين الرافضين للإسلام حاولوا صرف الأمة عن مرجعيتها انطلاقاً من مقولات مشتركة بينهم ، أهمها :

١- العمل تحت راية التحديث أو التجديد أو المعاصرة ، أو التطوير أو التقدم.

٢- العمل ضد التراث الإسلامي بالاستناد إلى عناصر من هذا التراث نفسه !

٣- الاجتزاء من التراث ، بتبني بعضه ورفض بعضه ، بما في ذلك « المُقدَّس » !

٤- البدء بنبذ جوانب « خارجية » ، كالعمارة ، والأزياء والعَلَم ، والتقويم !

٥- ادعاء أن في الإسلام « المرونة » والصلاحية لكل زمان ومكان ، وهم يقصدون اتخاذ الفلسفة النسبية سبيلاً لزلزلة ثوابت الدين الخالدة !

- وكثير منهم يضرب على وتر « المتشابهات » ، ويردد مقولة علي بن أبي طالب ﷺ : « إن القرآن حمَّالُ أوجُه » ، ومن تلك الأوجه مزاعمهم الفجة المناقضة للقرآن الكريم والسنة المطهرة في المسائل الخلافية العديدة . وهم يبتغون إثبات صحة المقولة الاستشراقية : إن الإسلام كالصلصال ، يمكن تشكيله حسب الهوى ، وبذلك تكون الشيوعية شرعية ، كما تكون الرأسمالية إسلامية ، وتكون الديموقراطية والدكتاتورية مشروعيتَيْن إسلاميًا بالدرجة نفسها! وهذا ما ردده القمني .

● ولابد أن نعترف بأن العلمانيين نجحوا في تحقيق أغراضهم ، فأصبح الأخذ العشوائي عن الأوربيين شائعًا بين المسلمين .

١- فزاحم الفكر المادي العقائد الإسلامية وأضعفها .

٢- وزاحم التشريع الوضعي الشريعة الإسلامية ، وحل محلها .

٣- وحلت القومية والشعوبية محل الأخوة الإسلامية ، حتى تحاربت الأمم المسلمة .

٤- وحل الحرف اللاتيني محل الحرف العربي في الكتابة في تركيا وإندونيسيا وماليزيا .

٥- واختفى الهلال والنجوم من أعلام كثير من البلاد المسلمة وحلت محله أعلام شبيهة بالأعلام الأوربية .

٦- وتقدم التقويم الميلادي على التقويم الهجري .

٧- وزاحمت اللغة الإنجليزية اللغة العربية في عقر دارها !

٨- واختفى التراث المعماري العربي الإسلامي أو كاد ؛ ليحل محله الطراز الأوربي .

● وهكذا نرى بوضوح أننا بحاجة ماسة إلى جهاد علمي واسع المدى لكي نعيد للوحي مملكته السليبة ونستعيد لأمتنا صورتها العلوية الصحيحة .

نظرية الشر :

● وتساءل المشككون : «ما معنى كونه - ﷻ - رحيمًا ، وكونه أرحم الراحمين؟ فإن الرحيم - إذا رأى مُبْتَلىً أو معدوماً وهو يقدر على إزالة البلاء عنه - فإنه لابد وأن يزيله[1]. والرب ﷻ قادر على إزالتها ، ثم إنه لا يزيل شيئاً منها ، بل نرى أنه خلق السباع والمؤذيات ، وسلَّط بعضها على بعض . . . فكيف تتحقق الرحمة مع أن الأمر كذلك؟»[2].

- ورد أهل السنة على هذه التساؤلات فقالوا : « إن الرحيم هو الذي يفعل الرحمة ويوصل النعمة ؛ وليس من شرط كونه رحيماً أن لا يفعل إلا الرحمة .

---

(١) السؤال الآخر ؛ ص ٤٥ .

(٢) فخر الدين الرازي ؛ شرح أسماء الله الحسنى ؛ مكتبة الكليات الأزهرية ؛ ص ١٦٠ .

فهو تعالى رحيم كريم جواد ، ودود ، رءوف في حق بعض عباده ، وقهَّار جبار منتقم في حق آخرين . وهو تعالى قابض باسط ، ضار نافع ، مُعِز مُذِل ، محيى مميتٌ ، بحسب الاعتبارَيْن . ولم تكن رحمته وإحسانه مُعَلَّلاً باستحقاق مستحق ، أو بسبب طاعة مطيع . ولم يكن قَهْرُه مُعَلَّلاً باستحقاق مستحق ، أو بسبب معصية عاص ... وإنما صار العاصي عاصيًا لأنه تعالى خلق في قلبه إرادة المعصية .... وأن كل ما حصل للخلائق من صفاتهم وأفعالهم وأحوالهم فهو من الحق ... »[1].

- وهكذا رد أهل السنة ظواهر الشر الملحوظة في العالم إلى قضاء الله وقدره ، خيره وشره ، بصرف النظر عن فهم العقل لذلك أو عجزه عن الفهم .

● والحق أن الفلسفة العقلية لم تستطع أن تقدم حلاً لهذه المعضلة الكبرى ، فبعضهم نفى القضاء والقدر ، وبعضهم أثبته ، ولم يقتنع الناس بهؤلاء أو أولئك . وكذلك أهل الأديان الأخرى . وقد بيَّن « كانط » الفيلسوف الألماني الشهير ، عجز العقل البشرى عن التفكير في هذه المسألة وكيف أنه لابد أن يقع في التناقضات إذا هو عالجها[2].

● وناقش الإمام أبو حامد الغزالي مسألة الشر ليحبط مزاعم أولئك المشككين ؛ فقال : « إن الله تعالى أراد الخير لذاته (يعنى لذات الخير) ، وأراد الشر لا لذاته . فالمرض الذي يبدو شرًا ، هو شر أُريد به الخير . وهذا الخير هو : الابتلاء ثم الجزاء على الصبر عليه . وسوء الفهم راجع إلى أن الإنسان وهو « محدود العلم» يعترض على قدر الله « كامل العلم »[3].

● وفى العصر الحديث تراكم تراث إيجابي مهم لدحض تلك النظرية الساقطة . وربما كان بحث عباس محمود العقاد من أدق ما صدر في هذه المسألة . فالعالم الذي يتخيله أولئك المشككون لابد أن يكون كاملاً لا نقص فيه ولا ألم ولا عذاب ولا أي نوع من الشرور . ليس فيه طفل ناقص النمو ،

---

(١) فخر الدين الرازي ؛ شرح أسماء الله الحسنى ؛ مكتبة الكليات الأزهرية ؛ ص ١٦١ .

(2) Critique of Pure Reason; p . 270 .

(٢) المقصد الأسْني (نقلاً عن « إيثار الحق» لابن الوزير ؛ ص ١٨٨).

لأن النقص شر ! وليس فيه فروق بين الأفراد لأن الفروق تعنى النقص لدى البعض . وذلك العالم يشبه أن يكون إلهاً آخر يتسم بكل صفات الكمال ! !

- ويوجز العقاد البدائل الممكنة أمام العقل فيقول إنها :

- « إما إله ولا شيء» ـ يعنى بدون مخلوقات !
- « وإما إله خالق ، وإله مخلوق ، بغير فارق بين الإلهيْن» !
- « وإما هذا العالم كما عهدناه ونحن نجهل عُقباه ، أو لا نملك أن نقيس العُقبى السرمدية على ما شهدناه» .

- ولا مناص أمام العقل البشرى من اختيار الصورة الثالثة . وما العذاب والألم والشرور إلا وسائل لتربية الإنسان . وإن الإنسان ليقسو على ولده ليؤدبه وهو أرحم الناس به[1].

- وفى الفلسفة الألمانية المعاصرة وجدنا من يذهب إلي قريب من هذا ، وهو «نيكولاي هارتمن» فيلسوف الأخلاق المرموق الذي يبيِّن أن للألم قيمة إيجابية (The value of suffering) ، لأنه يعزز قوانا الباطنة العميقة ويدعمها . . . ولكي ندرك قيمة الألم علينا أن نتأمل القيمة المناقضة له وهى البلادة التي يستحيل معها الإحساس بالألم . إن كارثة قد تحل بإنسان يجهل قيمة الألم فلا يخرج منها بأي شيء مفيد ، لأن القيمة الأساسية عنده ـ وهى اللـذة ـ قد ضاعت ، وبضياعها فَقَدَ كل شيء . لكن لو أن هذه الكارثة أصابت إنسانًا يعرف قيمة الألم : « لزادت قوته من خلال الكارثة . فتحت وطْأتها تنمو قدرته على الاحتمال ، كما تنمو إنسانيته ووجوده الخلقي »[2].

وهكذا أمكن صد الهجوم على عقيدة التوحيد وعلى دين الإسلام من هذا المدخل ، في التراث الإسلامي القديم والحديث ، وفى الفلسفة العقلية .

---

(١) العقاد : « الله » : ص ٢١٨ ، ٢٥٥ .

(2) N . Hartmann; Ethics; vol 2; p . 129 .

المبحث الرابع

أحِبَّاء القمني وأعداؤه

- مع فرعون ضد نبي الله موسى !

● ومن أشنع المواقف التي اتخذها القمني إدانة المسلمين المصريين لأنهم يقفون مع إسرائيلية موسى ضد مصرية الفرعون !

- وهو يعلم يقيناً أن القرآن الكريم هو الذي أدان فرعون بقول الله تعالى : ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ (القصص: ٤) والقرآن يعلو على العنصرية العرقية الضيقة العفنة ، ويتبنى الحق بصرف النظر عن جنس صاحبه ، ويدين الباطل بصرف النظر عن مصدره .

- لكن القمني يقول : « فنحن نلقى بكل تاريخنا مع أجدادنا الذين وُصِفوا بالمجرمين وغرقوا مع الفرعون في البحر المفلوق بالعصا السحرية ، (لا بالمعجزة الإلهية) ولأننا نقف مع إسرائيلية موسى ضد مصرية الفرعون ، بل نحذف عن عمد وقصد كل تاريخ الحقبة القبطية من تاريخ مصر »[1].

- بهذا النزق يصادم القمني القرآن الكريم ، ويناقض القيم الأخلاقية التي تتنزه عن العصبية البغيضة وتنتصر للحق والعدل ، وهذا الموقف يتسق مع موقفه الذي يكذب الأنبياء من إبراهيم إلى محمد ـ صلوات الله عليهم أجمعين . وقد رأينا في مواضع عديدة كيف يستخف بالقرآن وينفي ما يُثبته ، ولا يستشهد به ويطالب بتجاوزه .

---

(١) السؤال الآخر ؛ ص ٢١٨ .

● ولا أدرى لماذا لم يعلق على الصورة المبهرة لأجدادنا العلماء ـ السحرة ـ الذين أتى بهم فرعون ليحبطوا معجزة موسى ، فلم يترددوا لحظة في إعلان إيمانهم بالله بمجرد أن عرفوا أن موسى نبي ، وقالوا لفرعون قولتهم الجسورة ، حين هددهم بقطع أيدهم وأرجلهم من خلاف : ﴿ قَالُواْ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴾ (طه:٧٢)

- لم يعلق على هذا المشهد المهيب لعلماء مصريين ، من جنسه ، لأنه لا يعرف المبادئ الرفيعة ولا تجذبه المواقف البطولية . إنه يبحث عن التشكيك لا عن الحقائق والمبادئ التي تجتذب الباحثين العلميين !

- **ابن الراوندي :**

● ومن الطبيعي أن يعجب مثل هذا الكاتب ـ القمنى ـ بكل من يجد فيهم الشذوذ الفكري الذي يُفضى بصاحبه إلى الإلحاد . وقد امتدح « علوم الإلحاد » التي « ناقشت بالحجة ما رأته ليس من العقل في نصوص الدين ، وما قد تدحضه » كما نجد عند الطبيب أبو بكر الرازي وعند المعرى وعند الحجة الكبير في هذا الأمر ابن الراوندي صاحب « مخاريق الأنبياء »[1] وهذا الحجة الكبير مات قبل أن يصل الثلاثين من العمر ؛ وقد اشتغل بعلم الكلام في مدرسة المعتزلة ، ثم فارقها وصار مُلحداً زنديقاً[2].

- ولك أن تتخيل ماذا يمكن أن يصدر عن شاب لم يبلغ الثلاثين ، حين يكتب عن الدين وعقائده وتشريعاته وأخلاقياته ! لقد تردّى في الإلحاد والزندقة وكفر بالدين واعتبر رسالات الأنبياء « مخاريق » ! ولهذا اعتبره القمنى حجة ، ومفكرًا كبيرًا !

---

(١) السؤال الآخر : ص ٣٨ ، ٥١ . ويقصد بالمخاريق المعجزات .

(٢) الموسوعة العربية الميسرة : ص ١٦ – رجل من راوند إحدى قرى قاسان بنواحي أصبهان (٨٣٠-٨٥٩م) .

- والرغبة العارمة في التشكيك في الإسلام يمكن أن تطمس على عقل أي كاتب معاصر فيرى ابن الراوندى جديراً بالفوز بجائزة الدولة المصرية التقديرية ! إنه حجة في علوم الإلحاد ومخاريق الأنبياء ! وهى عند القمنى أهم من علوم الذرة ! والقمنى فاز بتلك الجائزة لبروزه في تلك العلوم !

- نصر أبو زيد :

● وفى هذا الاتجاه نفسه يعلن القمنى تقديره للدكتور نصر أبو زيد الذي ذهب مذهبه في بحوثه الجامعية ، وانتهى به الأمر إلى القضاء الذي حكم بردَّته عن الإسلام ، وتبعاً لذلك انفسخ عقد زواجه ، وتحتم التفريق بينه وبين المرأة التي كانت زوجته»[١].

- المعتزلة :

● ويتوهم القمنى أن مدرسة المعتزلة ذهبت إلى القول إن العقل فوق الوحي ، وإنهم كانوا يستهينون بالكتاب والسنة كما يفعل هو .

● والحق أن مدرسة المعتزلة بريئة من هذه التهمة الشنيعة براءة الذئب من دم ابن يعقوب !

- لقد انشغل المعتزلة بمبادئهم الأربعة المعروفة :

* التوحيد والتنزيه (ولذلك نفوا الصفات القديمة)

* وحرية الإرادة (لإثبات عدالة الله ونفى الظلم عن ذاته العلية).

* والقول بالمنزلة بين المنزلتين .

* والقول إن الذين قاتلوا يوم «الجمل» و «صِفِّين» أحدهما مخطئ لا بعينه[٢].

---

(١) راجع تفاصيل الموضوع في كتابي «نقد أعلام الفكر المصري المعاصر» ؛ نشر مكتبة وهبة بالقاهرة ؛ سنة ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م ؛ ص ١٤٩-١٦٧ .

(٢) الشهرستاني ؛ الملل والنحل ؛ ٤٨/١ ، ٤٩ .

- وخاض المعتزلة معارك حامية دفاعًا عن هذه المبادئ ضد أهل السنة خاصة . وكانت قضية « خلق القرآن » إحدى المسائل الكبرى التي شغلتهم ومعهم الدولة العباسية على جميع المستويات . وقادتهم مبادئهم إلى مباحث عديدة في : المحكم والمتشابه من آيات القرآن الكريم ، وفي وجه الإعجاز ، وفي نظم القرآن ، واختلفوا في ذلك اختلافات واسعة[1] . وعلى الرغم من تلك الاختلافات العديدة ، لم يذهب أحد منهم إلى القول إنه يجب ترجيح العقل على النقل ، أي على نصوص الكتاب والسنة ، كما زعم القمنى . واقرأ ما شئت من المصادر المعتبرة فلن تجد لزعم القمنى أي أصل أو أي وجود .

- **ابن سينا :**

● وابن سينا (٩٨٠-١٠٢٦م) مثل سائر الفلاسفة المسلمين ، سلك طريقة أرسطو في تفسير الوجود . وقد أراد ابن سينا أن يوفق بين فلسفة أرسطو وبين ما ورد في القرآن الكريم عن خلق الله للمخلوقات المختلفة ، فاصطنع مصطلحات أرسطو المعروفة : وأهمها المحرك الأول ، وواجب الوجود ، وصدور العقل الأول عنه ، وعنه صدرت عقول أخرى ، آخرها الذي يلينا . وهذه هي نظرية الفيض[2] .

- ولم يقل في ذلك كلمة واحدة تناقض عقائد الإسلام .

- وتطرق إلى إثبات النبوة ، لأنه : « لابد في المعاملة من سُنة وعدل ، ولابد من سَانّ ومُعَدِّل . ولابد من أن يكون بحيث يخاطب الناس ويلزمهم السنة . فلابد من أن يكون إنساناً . ولا يجوز أن يترك الناس وآراءهم في ذلك فيختلفون » . فلابد إذن من نبي هو إنسان متميز من بين سائر الناس بآيات تدل على أنها من عند ربه تعالى ، يدعوهم إلى التوحيد ، ويمنعهم من الشرك ، ويسِنّ لهم الشرائع والأحكام ، ويحثهم على مكارم الأخلاق . . . »[3]

---

(١) الأشعري ؛ مقالات الإسلاميين ؛ ١/٢٩٣ - ٢٩٦ والإيجي : المواقف ؛ ص ٤١٥ (طبعة مكتبة المتنبي) .

(٢) الشهرستاني ؛ الملل والنحل ؛ ٣/١٧-٣٨ .

(٣) المرجع السابق ؛ ص ٤٢ .

- وبسبب فلسفته العميقة ، ومؤلفاته في الطب ، ذاع صيته . وكان التزامه بالإسلام هو ضمان القبول به لدى الأمة المسلمة . ولم تكن نظرية الفيض سببًا لارتفاع مكانته ، بل كانت سببًا في الجفوة التي حدثت بينه وبين علماء الإسلام ، وكانت المصطلحات الفلسفية سببًا في توجُّس كثير من المسلمين من فلسفته ، لأن للعلوم الإسلامية لغتها ومصطلحاتها المتميزة .

- الفارابي :

- والفارابي ، أبو نصر ، محمد ، المعلم الثاني (٢٥٩-٣٣٩هـ) لُقِّب بهذا اللقب بسبب مكانته الكبيرة في الفلسفة ومتابعته لدراسات أرسطو وشرحه لنظرياته . وقد ذُكر أنه قرأ كتاب النفس لأرسطو مائة مرة ! وأهم ما وصل إلينا من مصنفاته شروح وتعليقات على مؤلفات أرسطو ، وكتاب يوفق فيه بين آراء أفلاطون وأرسطو . وله كتب أخرى في مختلف فروع المعرفة . ومن أهمها كتاب المدينة الفاضلة[(١)].

■ ولم يُذكر أنه أحدث عقائد جديدة مخالفة للعقائد الإسلامية كما زعم القمنى ! فهو يزور على الفارابي كما زور على غيره بُغْية تشكيك المسلمين في عقائدهم .

- ونظرية الفيض هي نظرية يونانية خرافية ، لا يُشرِّف الفلاسفة المسلمين تبنيها . وقد فرضتها سطوة الفكر اليوناني على العصر . ولم يجعلها الفلاسفة المسلمون نقضًا لقصة الخلق التي جاءت في القرآن الكريم ، بل اعتبروها تفسيرًا وشرحًا لها . وحاول الفارابي تحويرها لكي تتفق مع روح الدين الإسلامي : «وما سار عليه العمل في صدر الإسلام ، إذ تولى الرياسة الرسول ﷺ ومن بعده خلفاؤه الراشدون الذين وصلت نفوسهم إلى أرقى درجات الصفاء والكمال»[(٢)].

---

(١) دكتور علي عبد الواحد وافي ؛ المدينة الفاضلة للفارابي ؛ دار عالم الكتب للطبع والنشر ؛ سنة ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣م ؛ ص ١٠-١٧ .

(٢) المرجع السابق ؛ ص ٦٤ .

● وكانت محاكاة ابن سينا والفارابي لأرسطو وراء النظرة السلبية لهما حتى قال عنهم شيخ الإسلام ابن تيمية : « إنهم فراخ اليونان» !

وصفوة القول إذن أن القمنى كتب ما كتب دون مراجعة أو تدقيق ، تسوقه أهواء نفسه ، فظلم المعتزلة والفلاسفة وتقوَّل عليهم في تهور ونزق ، ليصل إلى غرضه الإجرامي في تشكيك المسلمين في دينهم[1].

أبو العلاء المعري :

- وقد سلك القمنى أبو العلاء المعري (٣٦٣-٤٤٩هـ) الشاعر الكبير في سلسلة واحدة مع ابن الراوندي وأبى بكر الرازي باعتبارهم مفكرين رفضوا نصوص الدين ، وناقشوا بالحجة ما رأوه ليس من العقل ، وبذلك أسسوا علوم الإلحاد !

● ولكن تراث المعرى يُكذب ما ذهب إليه القمني . وهذه هي شهادة المعرى لكتاب الله تعالى كما وردت في رسالة الغفران تردُ على افتراءاته :

- قال المعرى : «وأجمع ملحد ومهتدٍ ، وناكبٍ عن الحجة ومُقتدٍ ، أن هذا الكتاب الذي جاء به محمد ﷺ ، كتاب بهر بالإعجاز - ما حُذي على مثال ولا أشبه غريب الأمثال . ما هو من القصيد الموزون ، ولا الرجز من سهل وحزون ، ولا شاكل خطابة العرب ولا سجع الكُهَّان ذوى الأَرَب . وجاء كالشمس اللائحة ، نورًا للمسرة والبائحة . لو فهمه الهضب الراكد لتصدع . . .

﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ ﴾ (العنكبوت:٤٣)

وإن الآية منه أو بعض الآية ، لتعترض في أفصح كَلِم يقدر عليه المخلوقون ، فتكون فيه كالشهاب المتلألىء في جنح غسق ، والزهرة البادية في جدوب ذات نسق ﴿ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ ﴾ (المؤمنون:١٤)[2]

---

(١) انظر كتابه : السؤال الآخر ؛ ص ٥٢ ، ١٥٣ .

(٢) نقلاً عن كتاب «أبو العلاء المعري» للدكتورة عائشة عبد الرحمن ؛ نشر وزارة الثقافة والإرشاد القومي ؛ بدون تاريخ ؛ ص ٢١٩ .

- لقد كان للشاعر الكبير حسَّاده الذين أشاعوا عنه أنه خالف جمهور المسلمين بما أخذ به نفسه من الزهد، وفسَّروا تقشفه بأنه يحرم ما أحل الله![1]

● والتقط القمنى شائعات حساده، وأغفل حقيقة إيمانه، لأنه يبحث عن التشكيك، لا عن التحقيق والتوثيق.

- الرازي أبو بكر محمد :

- هو طبيب وكيميائي (٨٦٥-٩٢٥م) ألف في الطب كتاب «الحاوي» وكان أكبر موسوعة طبية عربية. وكتب في الدين، فذهب إلى مقولات إلحادية، وتورط في نقد الأنبياء والأديان. والظاهر أن منهجه الحسي التجريبي هو الذي قاده إلى تلك الانحرافات. وأنكر إمكان التوفيق بين الفلسفة والدين. وعنده أن الله، والنفس الكلية، والهيولي الأولى، والمكان، والزمان هي المبادئ القديمة الخمسة التي لابد منها لوجود العالم.

● ومن الجلي أن الرجل كان تلميذاً للفلاسفة اليونانيين الذين تحدثوا عن النفس الكلية والهيولى الأولى. وهذه الأفكار تمثل سذاجة الفكر الفلسفي اليوناني الذي حاول تفسير الوجود. ولست بحاجة إلى القول إن تلك الأفكار ليس لها أية قيمة علمية اليوم، في مجال الفلسفة أو مجالات العلم. وهي لا تذكر إلا كتاريخ للفكر اليوناني القديم. وحتى الملاحدة اليوم لا يجدون أدنى فائدة من مثل هذه الأفكار. ولكن القمنى اعتبرها حجة في علوم الإلحاد، لا لشيء سوى مصادمتها للدين أو إنكار النبوات والمعجزات التي سموها مخاريق الأنبياء؛ فتلك هي رسالته في كل ما يكتب وما يقول!

● وبصفة عامة شهدت العصور الحديثة انتصارات متصلة للإسلام ضد المذاهب العلمانية والإلحادية على المستوى الفكري وعلى المستويات العلمية فى مجالات التشريع والأخلاق والثقافة، الأمر الذي اضطر القمنى والعلمانيين إلى استدعاء ابن الراوندى والرازي، ومحاولة الزج بأبي العلاء المعرى في المعركة!

---

(١) أبو العلاء المعري : للدكتورة عائشة عبد الرحمن ؛ ٢١٤ ، ٢١٥ .

واتهامات جُزافية للشعراوي :

● ولقد شاهد القمنى برنامجًا تلفزيونيًا دينيًا مساء ليلة الإسراء والمعراج في ١٩٩٧/١١/٢٧م . وهو يدور حول معجزة الإسراء والمعراج ، ابتداءً من البراق ، إلى المسجد الأقصى وإمامة النبي محمد ﷺ للأنبياء ، وعروجه إلى السماء ، ومشاهداته هناك قبل أن يعود إلى مكة المكرمة .

- وثارت ثائرة القمنى الذي يُنكر المعجزات ويُكذب جميع الأنبياء فكتب يقول إن التليفزيون ، وهو أخطر أجهزة التثقيف : « تحول إلى معرض للفكر الإرهابي ! »[1] يريد تحريض الدولة ضد الدعاة !

● وهو ينتقد التليفزيون أيضًا لأنه أفسح المجال للشيخ الشعراوي : « الذي استمر ما يقرب من ثلاث سنوات أو يزيد ينفخ في نيران الفتنة الطائفية عَبْرَ تلفازنا المبروك ، ويكفر علناً وداخل كل بيت إخواننا المسيحيين ويُسفه عقائدهم » . كما يأخذ على الشعراوي أنه : « وقف بالمرصاد لما ينفع الناس فأفتَى بتحريم زراعة الأعضاء »[2] .

- وهذه كلها ادعاءات باطلة . فقد كان الشعراوى حريصًا على الوحدة الوطنية إلى حد بعيد ، ولولا ذلك لما سمحت له الدولة بإلقاء دروسه على الشاشة الصغيرة . وأما فتواه بتحريم زراعة الأعضاء فكانت اجتهاداً منه لبيان الحلال ، لا لمنع ما ينفع الناس . فالقمنى مُبْطل فيما زعم ، كما كان مُبْطلاً في مزاعمه الأخرى !

- نقده للإسلاميين :

● إننا نعلم جميعاً أن العالم العربي يعيش في ظل نظم مستبدة ، لا تطيق سماع الكلمة الصادقة من المفكرين والكُتَّاب ، وخصوصًا الإسلاميين الذين يؤمنون بواجب الأخذ بالإسلام أخذاً كاملاً ، في حين يتخذ العلمانيون منهج البتر والانتقاء !

---

(١) السؤال الآخر ؛ ص ١٥ .

(٢) المرجع السابق ؛ ص ١٦ .

- وفي ظل هذه الأوضاع الخانقة ساير بعض الشيوخ النظام السائد في بلادهم طلباً لرضا الحكام وطمعاً في جوائزهم ، فأفتوا لهم بما يشاءون ، وأيدوا النظام الاشتراكي في مصر ! ثم انقلب الحكام إلى النظام الرأسمالي ، فانقلبوا معهم وأيدوا الرأسمالية !

وكذلك أيَّد بعضهم السعودية والكويت وأيَّد بعضهم صدام حسين !

● ويتخذ القمنى من هذه الفتاوى تكئة لنقد الإسلام والإسلاميين دون تمييز!

والحق أن تلك النظم المستبدة هي التي تحتضن القمنى وتمنحه الجوائز الكبيرة ، والإسلاميون أبرياء من تلك الفتاوى ومن كل منافق أيَّد الاشتراكية أو الرأسمالية أو النظم الاستبدادية ، أو صدامًا أو القذافي أو غيرهم . ورفاق القمنى الذين يجب أن يُسألوا عن مواقفهم المؤيدة لتلك النظم ، وهو نفسه يعمل لصالح النظام العلماني ، وما تهجماته على الإسلام والمسلمين إلا وسيلة لنيل رضاهم وجوائزهم ؛ وقد منحوه أكبر جوائز الدولة المصرية تشجيعاً له على المضي في خدمة العلمانية والتشكيك في الإسلام عدو العلمانية والمادية والإلحاد .

- تاريخ الأقباط : هل أسقطه المسلمون ؟ !

● ويصور القمنى المسلمين في صورة الأمة المتعصبة ضد الأقباط ، ويزعم أن المسلمين أسقطوا ما يقرب من ألف عام من تاريخ مصر لأن شقها الأول كان ثورة قبطية ضد الرومان[1] .

- ولا يسوق القمنى أية بيانات على بداية الألف عام المزعومة ولا أية شواهد على أن المسلمين هم الذين أسقطوا ذلك التاريخ !

- والأدلة تؤكد أن المسيحيين عانوا صنوفاً من الاضطهاد على أيدي أباطرة الرومان ابتداءً من القرن الخامس للميلاد ، أي قبل ظهور الإسلام بأكثر من

(١) السؤال الآخر ؛ ص ٩٦ .

١٥٠٠عام ، على أيدي نيرون سنة ٦٤ ، وتراجان سنة١٠٦ ، و« ديسيوس » (٢٤٩ـ٢٥٠)» ؛ «واستشهد في هذه الأضطهادات كثيرون (من القبط) ، أشهرهم القديس مينا العجائبي ، والقديس الشطبي المشهور بالأمير تادرس ، والقديسة دميانة»[١].

● ومن البديهي أن يقف المؤلفون المسلمون مع القبط ضد عدوهم المشرك الرومان المستعمرين . وقد اتضح ذلك في ترحيب قادة القبط بالفتح الإسلامي لمصر على يد عمرو بن العاص .

- قال صاحب الإسكندرية القبطي لعمرو بن العاص : « إني كنت أُخرج الجزية إلى من هو أبغض إليّ منكم معشر العرب : لفارس والروم . فإن أحببت أعطيتك الجزية على أن ترد عليَّ ما أصبتم من سبايا أرضي فعلتُ»[٢]. وقد رد عليهم عمرو معظم السبايا وأخذ الجزية .

- وقد خيروا النصارى بين البقاء على دينهم ودفع الجزية وبين اعتناق الإسلام ، فاختار بعضهم الإسلام واختار بعضهم البقاء على النصرانية . وعُـقِـد صلح بين عمرو بن العاص وبين أهل مصر ، ينطق بالعدالة والرحمة بأهل البلاد[٣].

- ولا يوجد أي مانع ديني إسلامي أو علمي يحول دون دراسة تاريخ مصر في أي عهد من العهود الفرعونية أو المسيحية ، إلا في أوهام القمنى وحده ! لكنه يفترض جهل قرائه فيكتب تلك الادعاءات الباطلة على أمل النيل من الإسلام والمسلمين . والواقع أن دراسة تاريخ مصر يشمل الحقبة الرومانية وكل ما حدث فيها من ثورات مسيحية ضد الرومان ، والجامعات المصرية تتناول كل تلك الأحداث في مقرراتها . وكذلك في مراحل التعليم المختلفة .

---

(١) الموسوعة العربية الميسرة ؛ ص ١٣٦٩ ـ مادة « قبط » .

(٢) تاريخ الطبري ؛ تاريخ الأمم والملوك لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (٢٢٤-٣١٠ هـ) ١٠٤/٤ ، ١٠٥ ؛ نشر دار سويدان ، بيروت .

(٣) المرجع السابق ١٠٩/٤ .

فزعم القمنى مجرد افتراء لا سند له .

- والغرض الخبيث له هو تحريض الأقباط ضد المسلمين وإثارة القلاقل في المجتمع المسلم .

- هل يمنع المسلمون تدريس تاريخ المسيحية ؟

● ويُغْرِق القمنى في عداوته للمسلمين ، فيزعم أننا في مصر نضع مناهج للتعليم تحض على قتل الآخر غير المسلم ! ويُقصد بذلك الأقباط . ويقول متهماً المسلمين في مصر بالتعصب والانغلاق ، والتحيز للعرب والإسلام حتى أن : « منهج التعليم المجاني قد عُنى بتاريخ العرب وتاريخ الإسلام والمسلمين أكثر مما اهتم بتاريخ مصر المتصل ، حتى تم إسقاط حقبة كاملة من حقب التاريخ المصري المعلن لأنها لم تكن عربية ولا إسلامية ، فقط لأنها كانت قبطية »[١] . ويمتدح المسيحيين المصريين ، فقد : « تحملوا كثيراً من المعاناة لزمن طويل قبلوا أثناءه أوضاعاً شديدة الظلم في وطنهم حتى لا ينقسم ويتشظى »[٢] .

● وهذا كله تزوير فاجر ، تكذبه الوقائع . « فالآخر » هو الذي لا يتقبل المسلمين في داخل مصر وخارجها . والإسلام يعترف بالدين المسيحي كدين سماوي وبالمسيحيين كأهل كتاب ، في حين يأبى المسيحيون الاعتراف بالإسلام كدين سماوي والقرآن ككتاب منزل من عند الله .

● ومن المستحيل أن يحض المسلم على قتل الآخر المخالف ، والأمة المسلمة حريصة على وحدة الشعب المصري وتبذل الجهد الجهيد لصيانتها . ودراسة تاريخ المسيحية مثل دراسة تاريخ الإسلام ، وهى تشغل فصولاً عديدة في مناهج التعليم في المراحل الدراسية المختلفة ابتداء من الصف الأول الإعدادي . ويدرس الطلاب المسلمون تاريخ البلاد المسيحية في الغرب ، كما

---

(١) السؤال الآخر ؛ ص ١٥ .

(٢) المرجع السابق ؛ ص ٢١٩ .

يدرسون لغاتها وفلسفتها ، وترسل البعثات إلى الغرب للحصول على المؤهلات العليا في مختلف جوانب ثقافتهم .

● فكلامه في هذه المسائل تزوير وتضليل للنيل من المسلمين والإسلام وتحريض الأقباط على مواطنيهم المسلمين .

● وإذا كان قد وقع على المسيحيين ظلم شديد ، فإن الذين ظلموهم علمانيون مثله ، لا إسلاميون ، وقد وقع على المسلمين مثل ما وقع على المسيحيين ، وربما أكثر ، بسبب خوف النظم الحاكمة من الإحاطة بهم . لكن القمنى يغالط ويحمل المظالم التي اقترفها النظام العلماني للأبرياء والضحايا المسلمين المبتلين به .

● ولقد أساء بعض المسيحيين لمصر وللمسلمين حين أظهروا تأييدهم للعلمانيين في كثير من المناسبات . وفى المقابل يقف المسلمون مع المسيحيين الملتزمين بدينهم ضد المسيحيين العلمانيين الذين انخلعوا من دينهم واعتنقوا الماركسية أو غيرها من المذاهب المادية الأوربية . وكان المسلمون دائماً مع الإيمان ضد الوثنية .

● ومما يفخر به المسلمون تأييدهم للروم بسبب إيمانهم بدين سماوي ، وضد الفرس لأنهم كانوا أهل أوثان . وهذا الموقف مسجل في القرآن الكريم . قال تعالى ﴿ الٓمٓ ۝ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾(الروم: ١-٥) ودخل بعض الصحابة في رهان ضد المشركين . وكانت فرحتهم كبيرة حين تحققت نبوءة القرآن الكريم بانتصار الروم .

● صفوة القول إذن إن مزاعم القمنى كلها باطلة ولا أساس لها إلا الحقد الدفين على الإسلام والمسلمين .

* * *

كتب للمؤلف

١- الفضائل الخلقية فى الإسلام ؛ نشر مكتبة دار العلوم بالرياض ، سنة ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م . ونشر دار الوفاء بالمنصورة ، طبعة ثانية ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م .

٢- نقد الثقافة الإلحادية ؛ نشر دار هجر ـ مصر ، سنة ١٤٠٦هـ ١٩٨٥م .

٣- خُلُق القرآن ؛ نشر المؤلف ؛ سنة ١٤٠٦هـ ١٩٨٥م .

٤- موقف الإسلام من الدنيا ؛ نشر دار هجر ؛ مصر ؛ سنة ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م.

٥- الإسلام وأمن المجتمع (التدابير الوقائية فى الإسلام) ، نشر دار الاعتصام ؛ مصر ؛ سنة ١٤١٠هـ ١٩٩٠م .

٦- أساطير المعاصرين ؛ نشر بيت الحكمة ؛ مصر ؛ سنة ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م .

٧- الإسلام والقتال ؛ نشر دار الشرق الأوسط ؛ مصر ؛ سنة ١٤١٠هـ ١٩٩٠م.

٨- من ينتهك حقوق الإنسان؟ الإسلام أم الأمم المتحدة؟ نشر مركز الإعلام العربى ؛ سنة ١٩٩٣م (كتيب) .

٩- العلمانية والخداع الثقافى ؛ نشر مركز الإعلام العربى ؛ سنة ١٩٩٣م (كتيب) .

١٠- رسالة إلى خطيب مسجدنا ؛ نشر دار الاعتصام ؛ سنة ١٤١٢هـ ١٩٩٢م.

١١- قانون النصر فى العقيدة القتالية الإسلامية ؛ نشر دار الوفاء ؛ المنصورة ؛ سنة ١٤١٥هـ ١٩٩٥م .

١٢- «السماء تمطر ذهباً»؛ مسرحية فى فصل واحد ؛ نشر دار سفير ؛ مصر ؛ سنة ١٤١١هـ ١٩٩١م .

١٣- من أخطاء المستشرقين وخطاياهم نقد الاستشراق ـ دراسات تطبيقية ؛ مكتبة وهبة سنة ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م .

١٤- مفهوم القلب فى القرآن الكريم ـ نشر المؤلف ؛ سنة ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م (كتيب) .

١٥- « ملهاة آل الطيب» ـ مسرحية فى ثلاثة فصول ؛ نشر دار هجر ؛ سنة ١٤١٢هـ ١٩٩١م .

١٦- نقد الإسلاميين المعاصرين ؛ نشر المؤلف ؛ سنة ٢٠٠٠م .

١٧- كيف ولماذا التشكيك فى السُّنة ؟ نشر وزارة الأوقاف ، قطر ـ على الانترنت Islam Web ـ سنة ٢٠٠١ ، مكتبة وهبة ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م

١٨- مرض كراهية الإسلام ؛ دار الحرير بالقاهرة ؛ كتاب الجمهورية ؛ جزءان ، أغسطس وسبتمبر ؛ سنة ٢٠٠٣.

١٩- الحوارات العطرة في السيرة المبوية ؛ كتاب الجمهورية ، عدد مايو سنة ٢٠٠٦م .

٢٠- تحرى الرشد ؛ دار التوزيع والنشر الإسلامية ؛ سنة ٢٠٠٦م .

٢١- نقد أعلام الفكر المصرى المعاصر ؛ مكتبة وهبة ؛ ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م .

٢٢- الشيعة والسنة ـ دراسة مقارنة ؛ مكتبة وهبة ؛ ١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٨م .

٢٣- إبداعات المسلمين في العلوم الاجتماعية ؛ مكتبة وهبة ؛ ١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٨م .

٢٤- قضية تطوير الخطاب الديني :

*- تطوير الدعوة إلى الإسلام ؛ مكتبة وهبة ؛ ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٩م .

*- تطوير الخطب المنبرية ٥٢ خطبة مطورة ؛ مكتبة وهبة ؛ ١٤٢٠ هـ ـ ٢٠٠٩ م .

*- هل يمكن تطوير الإسلام ؛ مكتبة وهبة ؛ ١٤٣١هـ - ٢٠١٠ م .

٢٥- الرد على افتراءات القمنى الصورة العلوية للبعثة المحمدية ؛ مكتبة وهبة ؛ ١٤٣١هـ ـ ٢٠١٠م .

٢٦- في رحاب السيرة العطرة إفتراءات المضلين في ضوء الحق المبين ؛ مكتبة وهبة ؛ ١٤٣١هـ ـ ٢٠١٠م .

فهرس الموضوعات

المبحث الثالث

الاستهانة بالقرآن والسنة

(٥٥-٨٦)

المبحث الرابع
أحباء القمني وأعداؤه
(٨٧-٩٨)